المخمسيات الحامدية
على الكواكب الدرية
في مدح خير البرية

جمع وتنقيح

د. جمال عبد الله أيدن

الأستاذ المساعد في جامعة اسطنبول

كلية الإلهيات

الدار الشامية
بيروت - لبنان

المخمسيات الحامدية
على الكواكب الدرية
في مدح خير البرية

المخمسيات الحامدية
على الكواكب الدرية
في مدح خير البرية

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

الدار الشامية
بيروت - لبنان

بيروت - طريق المطار القديم
ايميل: alshamiya.tr@gmail.com
جوال: ٠٠٩٦١٣٩٢٥٨٨٦

المخمسيات الحامدية

على

الكواكب الدرية

في مدح خير البرية

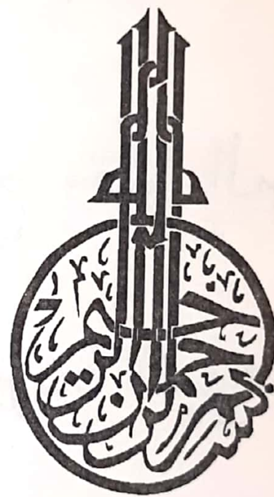
(قصيدة البردة للبوصيري)

جمعها وقدم لها وحققها

د. جمال عبد الله أيدن

الأستاذ المساعد بجامعة إسطنبول

كلية الإلهيات


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ناطقا يستنبط من الكلمات المعاني والأسرار فيركبها تركيبا منظوما يكتب به الأشعار أو منثورا يؤلف به القصص ويروي الأخبار.

والصلاة والسلام على النبي المختار الذي لا زال مدحه بين الشعراء وسيلة الافتخار. ولا عجب فهو سيد الأخيار وبه تختصب الأعمار. وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

لا يخفى على أهل العلم والأدب أن أشهر المادحين للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام بالقصائد والأشعار هو الشاعر محمد بن سعيد بن حماد البوصيري. الذي بلغ بقصيدته التي عرفت فيما بعد بقصيدة البردة أو القصيدة البرئية ذروة المدح.

ودعوى أن هذه القصيدة في الذروة ليست إطراء عاجل أو حكم مستعجل. فالإنتاج سواء كان علميا أو أدبيا لا يظهر مستواه الحقيقي إلا بمرور الزمن عليه. حيث يقبل الناس عليه، يقرؤونه ويتدارسونه. وليس كل إنتاج يلقى اهتمام البشر. فقد يضيع تأثيره مع الأيام. فلا يكاد يذكره أحد من الخواص والعوام. وقد تجد مؤلفه ينسى ما فيه فيموت الإنتاج قبل صاحبه.

وقد يخلد كتاب أو شعر على مدى العصور. فلا يصيبه البلى مع مرور مئات الأعوام. وتجد فوق ذلك يشرح ويختصر ويزاد عليه. فلا يسأم الناس من تكراره ولا يملون من ترداده بل يعلمونه لمن بعدهم من الأجيال. فيتناوله الجيل بعد الجيل بالقراءة والدراسة والتدقيق والتحليل. فيغدو نصا يعتبر جاهله جاهلا للغة قومه غافلا عن ثقافة شعبه.

فقصيدة البردة أو الكواكب الدرية –كما سماها صاحبها– إنتاج أدبي من هذا النوع. لقيت اهتمام الأجيال وغدت قطعة أدبية رائعة تعلو بها أصوات المنشدين وأنغام المغنين. وكثرت عليها الشروح وزاد الشعراء عليها بالتخميسات والتسبيعات[1]. وترجمت إلى غير العربية نظما.[2]

[1] والتخميس أو التسبيع هو أن يجعل الأديب قصيدة ما أساسا يكتب على منوالها بنفس الوزن والقافية. فيشطر كل بيت منها بثلاثة أو خمسة أشطر من عنده. فيصبح المجموع خمسة أو سبعة أشطر. وسوف نتطرق لهذا النوع بشيء من التفصيل في فصول الكتاب.

[2] بنيامين أي جيجكي. (ترجمة قصيدة البردة للبوصيري إلى التركية نظما ونثرا من قبل سعيد باشا الدياربكري)

فكل هذا أبرز دليل على بلوغ البوصيري المجد الأدبي بقصيدته هذه. فقد لقي قبولا عامّا امتد مدى القرون في بلاد الإسلام شرقا وغربا.

ومن تلك البلاد أرض ماردين. التي كانت أرض قبائل العرب، نزلوا بها وسكنوها[3] .

وأسلم أكثر أهلها مع اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية وأنشئت بها المدارس على الطراز السلجوقي. فكان من بين أهلها علماء أجلاء وأدباء فصحاء يؤلفون الكتب وينظمون القصائد. مثالها مثال أي مدينة إسلامية عريقة حتى عهد قريب.

وبعيد انهيار دولة الخلافة العثمانية ذهب أهلها المتقنين للعربية الفصحى. وباتت ماردين مدينة مقطوعة عن لغة القرآن. وغدا أهلها لا يفهمون من العربية إلا اللغة الدارجة والمقولة الساذجة.[4]

فصارت عينا ناضبة بعد أن كانت معينا وافراً للإنتاج العلمي والأدبي.

وميزة مدينة ماردين أن سكانها يتكونون من عوائل لها أسماؤها العربية. ومن تلك العوائل "أسرة الحامدية" أو "بيت الشيخ حامد" (كما هو في مصطلح أهل المدينة). وهي أسرة منسوبة للشيخ حامد الذي سكن ماردين بعد أن انتقل إليها من مدينة اسعرد. وكنت قبل أكثر من خمس سنوات نشرت منظومة نسب للعلامة محمود الآلوسي مفتي بغداد وصاحب تفسير روح المعاني في مجلة محكمة (مجلة الشرقيات. إحدى مجلات جامعة اسطنبول. العدد 16 لعام 2010) . نظم الآلوسي فيها نسب الشيخ حامد. وكنت أوردت سيرة الشيخ حامد بصورة مختصرة.

من المآثر والكتب المؤلفة عن الشيخ حامد وأسرته (سوف نستفيض في ذكر المصادر أثناء كتابة تراجم أصحاب المخمسيات) يتجلّى أن أبناء الشيخ حامد وأحفاده ساروا على نهجه في نشر العلم وإرشاد أهالي البلاد التي سكنوها بإنشاء المدارس على طريقة العلماء في تلك المنطقة تحت حكم الخلافة العثمانية.

وكان لأبناء الشيخ حامد نشاط علمي كثيف في مدارسهم حيث ألفوا الكتب والرسائل في موضوعات شتى ولهم أشعار بالعربية الفصحى. وقد وجدنا بعض هذه المؤلفات والأشعار والرسائل التي تشكل الثروة التراثية لهذه العائلة حفظت بأيدي المنتسبين لهذه العائلة. ومن ضمنها مخمسيات متعددة لقصيدة البردة. إحداها للسيد الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حامد. وأخرى للسيد الشيخ عبد الحليم ابن الشيخ حامد (وهو والد جد جدي) والآخر للسيد الشيخ طاهر بن عبد الحليم.

Bünyamin Ayçiçeği, Bûsîrî'nin Kasîdetü'l-Bürde'sinin Diyarbakırlı Mehmed Said Paşa (1308/1892) Tarafından Yapılan Mensur ve Manzum Tercümesi

[3] ديار بكر (بن وائل) وديار ربيعة وديار مضر.وماردين تقع في هذه المنطقة.انظر ياقوت الحموي. معجم البلدان 494/2 . دار صادر، بيروت 1995

[4] حتى أنني قرأت في كتاب ألفه شخص من أبناء ماردين متطفلا على تاريخها يدعي أن لماردين لسان خاص بها خليط من العربية والكردية والتركية والسريانية.

وقد كتبت التخميسات كلها على قصيدة البردة كما أسلفت ولم تطبع على عهد من كتبها بل بقيت منها النسخ المخطوطة. فما كان مني إلا جمع مخطوطات هذه القصائد التي أشرفت على الضياع في كتاب أعَرِّف بأصحابها وأنشر ما لم ينشر من شعرهمْ.

وهذا النوع من التشطير معروف ومشهور قام به الآدباء في العصور المتأخرة. والمخمس نوع من المسمط. وسوف أتطرق بإيجاز لهذا النوع من القصائد.

ولما كانت القاصائد الأربعة لأفراد عائلة آل حامد على البردة سميتُ المجموعة بـ" المخمسيات الحامدية على الكواكب الدرية في مدح خير البرية" . و"الكواكب الدرية" هو العنوان الأصلي لقصيدة البوصيري إلا أنها اشتهرت بالبردة.

وسبب اختياري كلمة "المخمسيّة" بدلا من التخميس أو المخمّس في عنوان الكتاب هو أنّ اسم القصائد في المخطوطات كانت منسوبة لأصحابها بلفظة "مخمسية" وهي لفظة مستخدمة لهذا النوع من الأشعار كما سيأتي التفصيل عنها. والمخمسية نوع من القلائد الذهبية تتقلده النساء بها خمس قطع ذهبية. فلعل القصيدة شبهت بعقد ذهبي فسميت هكذا.

عملي في الكتاب

يسر الله لي كما أسلفت الحصول على مخطوطات القصائد من مكتبات المنسوبين إلى الأسرة الحامدية. وكانت أولى الخطوات نقل المتون من المخطوطات إلى جهاز الحاسوب. ثم مقارنة النسخ المختلفة. وحاولت إعطاء صورة عامة عن القصائد بتحليلها خلال أمثلة معينة بغية تعريف القارئ بها وتشكيل صورة ذهنية عنها.

أثناء قراءة النسخ وجدت أخطاء لغوية بارزة ومتنوعة.حيث وقعت أخطاء إملائية في كتابة بعض الكلمات. ووقعت أخطاء نحوية. وكذا وجدت أشطرا مخلة بالوزن.

فصححت الأخطاء الواردة في متن قصيدة البردة بالرجوع إلى النسخ المطبوعة من غير إشارة إليها لشهرة متن البردة. أما ما ورد من الأخطاء في الأشطر المضافة فإذا كان التصحيح من الفروق الواقعة بين النسخ أثبتُّ ما رأيته صحيحا وأشرت إلى الأخرى في الهامش مع بيان رمز النسخة إذا كانت هناك نسختان.

أما إذا تأكد لدي تكرر الخطأ في النسختين فإني أصحح الخطأ بما يناسب المعنى والوزن.

أما الأخطاء الإملائية –وهي غير قليلة– فصححتها دون إشارة إلى مواضعها. كالأخطاء الواردة في كتابة الهمزة أو كتابة التاء المفتوحة والمربوطة.

وتركت بعض ما رأيته خطأ في الوزن. ظنا مني بأن صاحب المخمسية رآى في "الضرورة الشعرية " سعة فاستخدمها. كمخالفة بعض القوافي أصل القصيدة في الإعراب.

واستنتجت بعد مطالعة النسخ المخطوطة أن الأخطاء وقعت لأسباب منها أن منطقة ماردين فيها العرب والعجم. فلا أستبعد أن يكون بعض الناسخين للمخطوطات من العجم. مما أدى إلى الوقوع في أخطاء إملائية ونحوية

أثناء الكتابة. ولم يتم ضبط الوزن كذلك لنفس السبب. فقد ينسخ الناسخ من النسخة الأصلية لجودة خطه ولكنه يخطئ في قراءة العبارات أو يبدل الصحيح بالخطأ لضعفه في العربية. خاصة وأن لغة الشعر أصعب على غير أهله.

ويحتمل أيضا أن يكون صاحب القصيدة أملاها على بعض طلابه. والمشهور في المدارس الشرقية أنّ بعض الطلاب والدارسين يتقنون القراءة ولا يحسنون الكتابة وقواعد الإملاء.

فحاولت جهدي تنقيح المتون وإخراجها على وجه صحيح.

ولا يفوتني أن أقدم شكري لوالدي الدكتور محمد صادق الحامدي حفظه الله وأطال بقاءه إذْ أرشدني إلى كيفية التعامل مع المخطوطات ووصْفها وشجعني على إخراجها وراجعها معي وأشار علي بملاحظات قيمة سجلتها رغم كثافة انشغاله بمشروع علمي آخر. وأسأل الله أن يبارك في عمره وأعماله وينفع به وبمنتجاته الأمة الإسلامية.

رحم الله علماءنا فقد عبروا عن خالص حبهم لنبيهم وجدهم عليه الصلاة والسلام بأحسن العبارات وأفصح الأبيات.

وأرجو من الله الغفور الرحيم أن يجعل نشري إنتاجهم لإحياء لما اندرس من تراثهم عملا صالحا أتقرب به إليه، ووسيلة شفاعة يشفعون بها بعد شفاعة رسوله عليه أفضل صلواته وأتم تسليماته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. جمال عبد الله آيدن

التمهيد

التعريف بالبوصيري وبقصيدة البردة

التعريف بالمخمس ومخطوطات المخمسيات

التعريف بالبوصيري وبقصيدة البردة

أ- حياة البوصيري

سبق وأن ذكرنا أنه لا أحد يجهل البوصيري وقصيدته المشهورة عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الكاملين إن كان له إلمام بالعربية وآدابها. وقد شهرت قصيدة البردة صاحبها عبر العصور. فمع شهرة البوصيري لابد لنا التطرق إلى ترجمته بإيجاز أداء لحقه وإيفاء بأسلوب التأليف. ونحيل المستزيد إلى كتب الذين توسعوا في ترجمته.[5]

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري الملقب بشرف الدين. نسبته إلى بوصير وهي بلدة أمه. وبوصير موضع في مصر من أعمال بني سويف.[6] ولكن هذه النسبة من حيث منشئه لا من حيث مولده. فقد ورد أن مولده كان بدلاص (وهذه أيضا من قرى بني سويف) فقد قال السيوطي عنه في كتابه حسن المحاضرة: "الدِّلاصي المولد المغربي الأصل البوصيري المنشأ"[7] فالظاهر أنه ممن هاجروا إلى مصر من المغرب والله أعلم.

وقع خلاف حول تاريخ مولده وحول تاريخ وفاته. ورجح شوقي ضيف أنه ولد عام 608 للهجرة[8] .

درس البوصيري في الكتاتيب وحفظ القران الكريم. ودرس على الشيوخ علوم اللغة والشريعة. ويظهر أنه عمل موظفا في بداية أمره ثم ترك الوظيفة وبدأ بتعليم القرآن للصبية.

وكان شاعرا مُجيدا يشهد له من نقل ترجمته من الأعلام. يقول عنه السيوطي " وبرع في النظم. قال فيه الحافظ فتح الدين بن سيد الناس: هو أحسن شعرًا من الجزار[9] والوراق[10][11] ".

من يقرأ عن حياة البوصيري يظهر له سبب التأثر الصوفي البارز في قصائده. إذْ تعرف على الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي تنسب إليه الطريقة الشاذلية ولعلها أوسع الطرق الصوفية انتشارا في إفريقيا وأصبح البوصيري من مريدي الشيخ. ولزم بعد وفاة الشيخ أبي الحسن خليفته في الطريقة الشيخ أبي العباس المرسي.

---

[5] وخير من توسع في ترجمته الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي. 7/361-365

[6] خير الزركلي. الأعلام. 6/139. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر. بيروت 2002 م

[7] جلال الدين السيوطي. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. 1/570. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. مصر.1387 هـ - 1967 م

[8] شوقي ضيف. المصدر السابق. 7/361

[9] يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين (601 - 679 هـ = 1204 - 1280 م) شاعر مصري ظريف. أنظر ترجمته: الأعلام للزركلي 8 /153.

[10] عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق(615 - 695 هـ = 1219 - 1296 م) شاعر مصر في عصره. أنظر ترجمته: الأعلام للزركلي 5/63

[11] السيوطي. المصدر السابق. 1/570 وانظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري 1089هـ. 5/ 432. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. دار بن كثير. دمشق 1406هـ.

فبرز بين المريدين هو وعطاء الله الإسكندري. فكان عطاء الله يتحدث عن محبة الله وكان يتحدث البوصيري عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[12]

وللبوصيري قصيدة أخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهمزية وعارض كذلك قصيدة البردة لكعب بن زهير.

توفي رحمه الله عام 698 في الاسكندرية ودفن بها. [13]

---

[12] محمود قايا. مادة البوصيري (الموسوعة الإسلامية الصادرة عن وقف الديانة التركي باللغة التركية) Kaya, Mahmut, "Bûsirî Muhammed b. Saîd", *DİA*, İstanbul 1992, VI/68-470.

[13] انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات 3/88-94. لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . دار إحياء التراث – بيروت 1420هـ- 2000م ، فوات الوفيات. محمد بن شاكر الكتبي 764هـ 3/362. تحقيق : إحسان عباس. دار صادر - بيروت- 1973. السيوطي المصدر السابق 1/570. الزركلي المصدر السابق 6/139. معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. 10/28. دار إحياء التراث العربي. بيروت. شوقي ضيف المصدر السابق 7/361-365.

ب- قصيدة البردة

لا مجال للاسترسال في الكلام في هذا الكتاب عن القصيدة بصورة واسعة. ويحسن بنا التلميح إلى بعض خصائص القصيدة وموضوعاتها بشكل موجز.

البوصيري رحمه الله مع كونه شاعرا بارعا له قصائد عديدة أخرى كما ذكرنا فقد اشتهر بقصيدته التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووصل عدد أبياتها إلى أكثر من مائة وستين بيتا. وسماه صاحبه بـ"الكواكب الدرية في مدح خير البرية"[14] واشتهرت بقصيدة البردة أو البرأة. ولذلك قصة ذكرها مؤلف الوافي بالوفيات:

"قَالَ البوصيري كنت قد نظمت قصائد فِي مدح رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مِنْهَا مَا كَانَ اقترحه عَليّ الصاحب زين الدّين يَعْقُوب بن الزبير ثمَّ اتّفق بعد ذَلِك أَنه أصابني فالج أبطل نصفي ففكرت فِي عمل قصيدتي هَذِه الْبردَة فعملتها واستشفعت بِهِ إِلَى الله عز وَجل فِي أَن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت بِهِ ونمت فَرَأَيْت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَ مسح على وَجْهي بِيَدِهِ الكريمة وَألقى عَليّ بردة. فانتبهت وَوجدت فِي نهضة فَخرجت من بَيْتِي وَلم أكن أعلمت بذلك أحدا فلقيني بعض الْفُقَرَاء فَقَالَ أُرِيد أَن تُعْطِينِي القصيدة الَّتِي مدحت بهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقلت: أَيهَا؟ فَقَالَ: الَّتِي أنشأتها فِي مرضك وَذكر أَولهَا، وَقَالَ: وَالله لقد سمعنَا البارحة وَهِي تنشد بَين يدَي رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ورأيته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يتمايل وأعجبته وَألقى على من أنشدها بردة. فأعطيته إِيَّاهَا وَذكر الْفَقِير ذَلِك فشاع الْمَنَام إِلَى أن اتصل بالصاحب بهاء الدّين وَزِير الظَّاهِر فَبعث إِلَيّ واستنسخها وَنذر أَن لَا يسْمعهَا إِلَّا قَائِماً حافياً مَكْشُوف الرَّأْس وَكَانَ يحب سماعهَا هُوَ وَأهل بَيته. ثمَّ أَنه بعد ذَلِك أدْرك سعد الدّين الفارقي الْموقع رمد أشرف مِنْهُ على الْعَمى، فَرَأى فِي الْمَنَام قائلاً يَقُول لَهُ اذْهَبْ إِلَى الصاحب وَخذ الْبردَة وَاجْعَلْهَا على عَيْنَيْك تعافى بِإِذن الله تَعَالَى. فَأتى الصاحب وَذكر مَنَامه فَقَالَ: مَا أعرف عِنْدِي من أثر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بردة. ثمَّ فكر سَاعَة وَقَالَ: لَعَلَّ المُرَاد قصيدة الْبردَة. يَا ياقوت قل للخادم يفتح صندوق الْآثَار وَيخرج القصيدة من حق العنبر وَيَأْتِ بهَا. فَأتى بهَا فَأَخذهَا سعد الدّين ووضعها على عَيْنَيْهِ فعوفيتا وَمن ثمَّ سميت الْبردَة" [15].

هكذا وردت قصة التسمية. والقصة نفسها أوردها ابن شاكر الكتبي في كتابه فوات الوفيات بعبارات متقاربة.[16]

تتشكل القصيدة كما هو معروف من عشرة أقسام:1- النسيب 2- التحذير من هوى النفس 3- المديح النبوي 4- ذكر الولادة النبوية 5- المعجزات 6- شرف وفضائل القران الكريم 7- الإسراء والمعراج 8- الجهاد والغزوات النبوية 9- إظهار الندامة والتوسل إلى الله 10- المناجاة والدعاء.

---

[14] عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين. 28/10

[15] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات . 764هـ 93/3-94

[16] محمد بن شاكر الكتبي (764هـ) فوات الوفيات. 368/3 وهناك تشابه كبير بين عبارات الصفدي وابن شاكر الكتبي وهما متعاصران وعاشا في مصر. فلعل أحدهما اقتبس من الآخر دون تصريح المصدر.

وشرح الكثيرون القصيدة فقد ذكر الحاج خليفة حوالي أربعين شرحا لها. وذكر أيضا بعض من خمسها.[17]
وعارضها كثير من الشعراء. ولعل أشهرهم أحمد شوقي بقصيدته "نهج البردة" ومطلعها:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحُرُم

يقول الرافعي رحمه الله عن البردة:

"ونظم المتأخرون في السيرة النبوية خاصة، وأشهرهم في ذلك حكمة وإحكامًا، الإمام شرف الدين البوصيري، وشهرة قصيدتيه البردة والهمزية قد ملأت الدنيا."[18]

ولا نعرف نقدا موجها للبردة سوى من أصحاب الدعوة السلفية. واعتراضهم ينحصر في معاني بعض أبياته دون الناحية الأدبية.[19]

يقول الأستاذ محمود رزق سليم في مقاله الذي نشره عن البردة في مجلة الرسالة : " لم يكن البوصيري —فيما أعتقد— شاعرا طماحا إلى الشهرة يسعى إليها عن طريق شعره. ولذلك لم يكتسب به ولم يسع إلى باب من أبواب الرؤساء. وكذلك لم يكن يعنينه أن يكون شعره جيدا بديع النظم رائع الأسلوب، بقدر ما كان يعنيه أن يكون صدى لما في نفسه ورجعا لهجسات فؤاده. فأغلب شعره شعر شخصي يسجل خواطر الشاعر وأحاسيسه النفسية"[20] هذا رأي الأستاذ عن أسلوب الشاعر في عموم شعره. وأما عن البردة خاصة فيقول: "أما غزله النبوي وبخاصة في البردة فإن شخصيته تبدو فيه ناطقة وثابتة في كل بيت. فالبردة منظومة نفسية جاشت بها نفس الشاعر في الباطن، وعلق عليها آمالا قبل أن يتحرك بها لسانه ويجنح إليها في الظاهر."[21]

والقصيدة لا حصر لطبعاتها ويشير إدوارد فانديك إلى تعدد طبعات القصيدة في القرن التاسع عشر بما يدل على مدى الاهتمام البالغ بالقصيدة حيث يقول: " طبعت في فينا عاصمة النمسا سنة 1860م مع ترجمة المانية صحيحة نفيسة باعتناء العلامة رالنس وأيضاً في كلكته سنة 1825م مع ترجمة فارسية. وفي كازان روسيا 1849م مع ترجمة تاتارية وفي بولاق سنة 1256هـ مع شرح عليها. وفي القسطنطينية سنة 1251هـ مع شرح عليها وأيضاً في بمباي 1893م مع ترجمة انكليزية وشروح انكليزية باعتناء الشيخ فيض الله واي. وللشيخ خالد الازهري شرح عليها ولابراهيم

---

[17] مصطفى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي أو الحاج خليفة (1067هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

[18] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب – (136/2)

[19] **انظر مقال** عبد الله بن سليمان بن منيع. "البدعة وأثرها في الانحراف في الاعتقاد" مجلة البيان.العدد: 11. شعبان – 1408هـ أبريل – 1988م السعودية

[20] محمود رزق سليم "البردة وأثرها في الأدب بالعربي" مجلة الرسالة. ص1207. العدد 799. 25 أكتوبر 1948 مصر

[21] المصدر السابق. ص1207.

الباجوري حاشية عليه طبعا معاً في القاهرة سنة 1302هـ ولعمر بن أحمد الخاربوطلي شرح عليها وضعه سنة 1241هـ وسماه عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة طبعت في القسطنطينية 1289هـ"[22]

فالقصيدة تم طبعها مع ترجماتها إلى الألمانية والفارسية والتتارية والانجليزية قبل أكثر من مائة عام.

[22] ادوارد كرنيليوس فانديك. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية. صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي الناشر: مطبعة التأليف (الهلال) ، مصر عام النشر: 1313 هـ - 1896 م

التعريف بالمخمس ومخطوطات المخمسيات

أ- التخميس والمخمسيات

يذكر ابن منظور في لسان العرب أن "المُخَمَّس مِنَ الشِّعْرِ: مَا كَانَ عَلَى خَمْسَةِ أَجزاء، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي وَضْعِ العَرُوض"[23]

وقصد ابن منظور من الأجزاء الأشطر.

ويخبرنا الأستاذ الدكتور شوقي ضيف عن تاريخ هذا النوع من القصائد بشيء من التفصيل. وذلك بذكر الاسم المشترك لها وهو 'المسمّط' حيث يقول:

"وقد ظهرت المسمطات منذ فواتح العصر العباسي الأول. وهي قصائد تتألف من أدوار، وكل دور يتألف من أربعة شطور أو أكثر، وتتفق شطور كل دور في قافيتها ما عدا الشطر الأخير فإنه ينفرد بقافية مغايرة يلتزمها الشاعر في جميع الشطور الأخيرة من الأدوار. والمسمط مشتق من السمط وهو قلادة تنتظم فيها عدة سلوك تلتقي عند جوهرة كبيرة، وكأن كل دور في المسمط الشعري سلك يلتقي مع الأدوار أو الأسلاك الشعرية الأخرى في قافية الشطر الأخير. وقد مثلنا في كتاب العصر العباسي الأول بمسمطين لأبي نواس يتألف الدور في أحدهما من أربعة شطور، وفي الثاني من خمسة. وتظل المسمطات طوال عصر الدول والإمارات قائمة بجوار القصيدة، وينظم الشعراء فيها من حين إلى حين إظهارا للبراعة"

ثم يتطرق للمُخمّس فيقول: "المسمطات ذات الشطور الخمسة وتسمى المُخَمَّسات، ومثلها ذات الشطور الستة والسبعة، وتسمى المسدّسات والمسبّعات. وشاع في الحقب المتأخرة تخميس بعض القصائد المشهورة مثل همزية البوصيري وبُردته" [24]

وهذا ما نحن بصدده. إذ يتبين أن تاريخ المخمس قديم، ولكن اتخاذ قصيدة عمودية معينة لشاعر ما أساساً وإضافة ثلاثة أشطر عليها بما يوافق الشطر الأول في القافية أمر شاع في الحقب المتأخرة.

ولا يفوتنا هنا ذكر اعتراض مصطفى صادق الرافعي بشدة على هذا النوع مع المعلومات المهمة التي يمدنا بها عن المخمس إذ يقول:

"وقد نقل الزَّبيدي في كتابه "تاج العروس" عن أبي إسحاق: أن كل ما اختلطت قوافيه فهو المخمس، فالمتأخرون إنما رتبوا الأسماء، وكان ذلك لإكثارهم من هذه الأنواع، حتى يكون كل نوع مميزًا باسمه؛ ولكنهم هجموا من ذلك على شنعة مرذولة، وهي تناولهم أشعار الناس وتخصيصها بالتشطير والتخميس؛ وما لذلك قصد الذين وضعوا هذه الأنواع، ولا هو شيء في أصل الفطرة الشعرية، ولكنها المنافسة في الصناعة جعلت النابغين منهم ينهجون هذا المنهج، ليظهروا أن فيهم فضلًا وبقية من المتقدمين، بما يزيدون في معانيهم التي ربما يكون صاحبها قد أماتها ولم يترك فيها مطمعًا،

---

[23] ابن منظور، لسان العرب (6/ 67) وقد نقل الزبيدي نفس العبارة في تعريف المخمسية. (28/16)

[24] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات – الجزيرة العربية العراق إيران (5/327-328) دار المعارف. القاهرة 1980. الطبعة الثانية

ويلمون ويشدون في ألفاظهم وتراكيبهم، من أجل ذلك كانوا لا يقصدون إلا القصائد الشهيرة المجمع على بلاغتها، والأبيات النادرة، كما فعل الصفي الحلي وغيره. ولكن الزمن طمس على هذا الأصل، وصارت تلك الأنواع في الشعر الجيد أشبه بالزيادة في تراب الميت: لا يجدد موته ولكنه وسواس وعيث.

أما أصل التشطير فلم نقف على كلام فيه للمتقدمين، ولا نظنهم تكلموا في ذلك، إذ هو مقصور على تعلق الشاعر بكلام غيره، وذلك من صنع المتأخرين، أما المتقدمون فكانت لهم المعارضة ونحوها مما لا يضطلع به إلا قوي جريء، وهو أدل على حقيقة المقارنة والتنظير بين الكلامين – ولكنا نظن أن أصله ما يسميه العرب بالتمليط والممالطة" [25]

لا نشارك الرافعي رحمه الله في نعته للتخميس بأنه " لا هو شيء في أصل الفطرة الشعرية، ولكنها المنافسة في الصناعة " ولا نرى – من ناحية المبدأ لا من ناحية الشكل– فارقا عظيما بين المعارضة الشعرية، وبين تخميس قصيدة معينة. ففي كلتا الحالتين يعمد الشاعر إلى قصيدة غيره فيولد أبياتا جديدة. فالأديب يظهر أدبه سواء في المعارضة أو في التشطير. ولا يخلو النوعين من المنافسة في الصناعة لمن استهدفها.

ولا بأس هنا بأن نتصور صاحب التخميس قبل شروعه فيها. نتصوره حين ينظر إلى قصيدة يتأثر بها ويراها مترجمة لعواطفه. فيقرر أن ينسج على منوالها بزيادة أشطر عليها. ولعل هذا هو الفارق الجوهري بين التخميس والمعارضة. المعارض يرى في نفسه جدارة في الإتيان بقصيدة سبقه غيره إليها. فيكتفي بالمشاركة في الوزن والقافية. أما المخَمِّس مع إتيانه بثلاثة أشطر من نفس الوزن والقافية لا يتخلى عن أبيات القصيدة الأصلية. فهو يزيد عليها وكأنه يعترف متواضعا بأنه دون صاحب القصيدة. ويفتح المجال أمام القارئ ليقارن بين أشطره الزائدة وبين أبيات الشعر.

وكما ذكر شوقي ضيف فقد شاعت المخمسات على البردة للبوصيري. وهذا راجع إلى اهتمام الأدباء بالقصيدة. و يذكر صاحب دائرة المعارف الحسينية معلومات مشابهة عن تاريخ هذا النوع بشأي من التفصيل مع إثبات لفظة "المخمسية" لهذا النوع من القصائد[26]

ب– وصف مخطوطات المخمسيات الحامدية

ظهر من مخطوطات هذه القصائد أن ابني الشيخ حامد وهما الشيخ إبراهيم والشيخ عبد الحليم كتبا مخمسيتين على قصيدة البردة للبوصيري. ثم جاء بعدهما الحفيد وهو الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد الحليم وقام أيضا بتخميس البردة.

وكان الدافع لكتابة هذه الأشعار رحلات الحج التي قام بها المشائخ حسب ما سمعناه من كبار الأسرة.

فلدينا ثلاث مسمطات مخمسية. كلها لثلاث مشائخ من الأسرة الحامدية.

---

[25] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب – (347/2) .مكتبه الايمان، القاهرة 1997

[26] محمد صادق محمد كرباسي، دائرة المعارف الحسينية. لندن 2010. ديوان التخميس. 34/1. وقد استرسل المؤلف في تعريف التخميس وشروطه وتاريخه استرسالا واسعا من ص13 حتى ص40

ولم تنشر من هذه المسمطات سوى مخمسية الشيخ إبراهيم.[27] وقد وجدنا لهذه االمخمسية مخطوطة واضحة الخط. فجاء نشرنا تصحيحا للنسخة المطبوعة.

فهذه آثار أدبية اثنتان منها تطبعان لأول مرة كادت تنفد نسخها المخطوطة.

1 – مخمسية الشيخ إبراهيم:

هذه المخمسية الوحيدة التي كانت قد طبعت من بين المخمسيات المخطوطة التي نقوم بنشرها. وقد طبعت ضمن الطبعة الثانية من كتاب الشجرة الدرية إذ كان الدكتور محمد صادق الحامدي أعاد طبع الكتاب عام 1413هـ (1993م) فأدرج المخمسية في الحاشية (ولم تكن المخمسيات الأخرى مكتشفة بعد) عندما ذكر مؤلف الكتاب عبد الحليم المارديني ترجمة الشيخ إبراهيم بن الشيخ حامد.

وكان التعويل على نسخة مخطودة وجدها المحقق قديما.

ولهذه المخمسية نسختان. إحداهما النسخة المطبوعة التي أدرجها د. محمد صادق الحامدي في ترجمة الشيخ إبراهيم. وتقع في سبعة وعشرين صفحة حيث تبدأ من ص154 من الشجرة الدرية إلى ص 181.

ورمزنا لهذه بـ(ط).

وتبدأ النسخة بهذه العبارة:

"هذا تخميس البردة الشريفة للإمام البوصيري نور الله ضريحه للشيخ المرشد الكامل والعالم العامل الفاضل الشيخ السيد إبراهيم نجل الشيخ السيد حامد النقشبندي قدس الله سرهما آمين"

أما الثانية فوجدناها قريبا في المكتبة الموروثة عن الشيخ خليل الحامدي الموجودة في مدرسة الشيخ خليل لتدريس القران الكريم في بلدة قايا بينار (عين كهف قديما) التابعة لمدينة باطمان في جنوب شرق تركيا. ورمزنا لهذه النسخة بـ (ع) . وكتبت هذه النسخة بخط النسخ. وخطها جيد بارز. وعدد ورقاتها 28 أي أنها 56 صفحة. وفي كل صفحة تسعة أسطر.

وتبدأ بالعبارة التالية:

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. هذا تخميس قصيدة البرئة للمتقي بالله الكريم السيد الشيخ إبراهيم الحامدي النقشبندي قدس الله سره وأفاض الله علينا أنواره وبره"

وكتب في نهايتها:

"تمت بتوفيقه سبحانه وتعالى في اليوم التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة خلا من سنة تسعة وعشر وثلاثمائة بعد الألف لهجرة من له العز والشرف عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات"

---

[27] نشرها د.محمد صادق الحامدي محقق كتاب الشجرة الدرية في مناقب السادة الحامدية.

بعد المقابلة بين النسختين المطبوعة والمخطوطة ظهرت بعض الفروق. ففضلنا تثبيت ما غلب على ظننا صحته في المتن مع الإشارة إلي الفرق في الحاشية.

صورة الصفحة الأولى من (ع) :

2- مخمسية الشيخ عبد الحليم

كان تعويلنا على نسخة واحدة وجدناها في مكتبة الشيخ عبد اللطيف الحامدي حفيد صاحب المخمسية. وعدد ورقاتها 24. أي 48 صفحة. وفي كل صفحة 13 سطرا تقريبا.

تبدأ النسخة بالعبارة التالية :

" بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مخمسية البرئية التي نظمها حضرة الشيخ عبد الحليم أفندي لما عزم سفر الحجاز قاصدا قراءتها عند روضة جده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت بحمد الله مثلما أراد."

وفي الورقة الأخيرة كتبت هذه العبارة:

رقمه الحقير الراجي الدعاء في مقامات النجباء الأتقياء الفقير محمد طاهر عامله مولاه بلطفه وكرمه الظاهر سنة 1301 شعبان 18"

يظهر من هذه العبارة أن الناسخ هو ابن صاحب المخمسية.

3- مخمسية الشيخ محمد طاهر

وورد لها اسم خاص وهو: المواهب السنية والدرر السمتية في تخميس القصيدة البرئية

وجدنا لهذا التخميس نسختين خطيتين. رمزنا للأولى: بـ(طه) وللثانية: بـ(هر)

نسخة (طه) تقع في عشرين صحيفة. وكتبت بخط نسخ مقروء واضح.

وتبدأ بهذا العنوان " بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين.كتاب المواهب السنية تخميس قصيدة البرئية في مدح خير البرية . للعبد الفقير إلى رحمة مولاه، حامدا له تعالى لما أولاه، وشاكرا له على ما والاه، ذي الفكر الفاتر، والنظر القاصر، السيد محمد طاهر، عامله مولاه بلطفه الباطن والظاهر، وأسبل سيل سماحته على ميدان ساحته بحسن المآثر. "

في بدايتها مقدمة للمؤلف بين فيها اسم الكتاب بهذه العبارة: "هذا كتاب مواهب السنية والدرر السمتية تخميس قصيدة البرئية في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية" وقال في الختام:" وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة في شهر جماد أول مضى منه 28 يوم في نهار الجمعة سنة: 1305من هجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين."

وعدد الأسطر في الصفحات مختلفة. وجدنا في بعض الصفحات 12 سطراً , و13 سطرا، و14 سطراً . فليس في هذه النسخة انسجام بين الأسطر.

وفي آخرها تقريظ للسيد الشيخ محمد علي بن السيد الشيخ عبد الرحمن الحامدي ، وهو ابن عم المؤلف في صحيفتين ونصف صحيفة.

وتقريظ آخر في عشر أبيات للشيخ محمد طاهر المائي البرواري في صحيفة فقط .

ومتنا التقريظ كما وردت:

قال الشيخ محمد علي:

"وقد قرظت رسالته المسماة بمواهب السنية والدرر الأحمدية في تخميس البردية بهذه السجعات .

بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد يامن شرحت قلوب مداحي نبيك الأواب. وجعلتهم نجوم الهدى وشموس الإقتداء. فبذلك تقربوا إلى رب الأرباب، وحيرت الشعراء العاشقين فعجزوا عن وصف ذلك الجناب. فهم هائمون في العشق الحقيقي فنالوا منه المعونة والخطاب. ثم الصلاة والسلام من الملك الوهاب على سيدنا محمد الذي أنزل عليه أم الكتاب. وتشرفت الشعراء بمدحه في البردة والقصائد. وعلى آله وأصحابه وعترته الأماجد ذوي الألباب. فهم المخصوصون باستثناء قوله تعالى:{ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } فبهذا ارتقوا أعلى الدرجات العليات. أما بعد: لما كانت القصيدة البردية للإمام البويصري في مدح خير البرية أحسن مدح في وصف النبي العربي، وكان اللازم على كل إنسان نعت جناب القرشي الأحمدي. فمن تصدى لتخميسها العالم الفاضل الشاعر الكامل اللبيب والذكي الفطن الأريب، ذي الفضيلة، والرشادة والنجابة السيد محمد طاهر أفندي الحامدي الحسيني الأحمدي مولدا، والطناطي مسكناً. فحين طالعت هذا التخميس، فوجدته أحسن مدح في هذا الباب النفيس. ويلتذ السامع عند ألفاظه السلسة، ويطرب العاشق حال عشقه بتلك المعاني الأنيسة. فرأيت أسرار البلاغة فيه فاشية، وأبكار الفصاحة من حسن ألفاظه ناشئة. فقد كسى البردة حلل جزى الله مؤلفها خير الجزاء، مع حسن العمل. فياله من تخميس لطيف. قد أظهر من مكنونات فرائده للشعراء الطلاب، وأتى بالعجب العجاب. فبحسن سبكيه قد تقر العيون ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ فلله در مؤلفها، حقق لنا قول الشاعر:"كم ترك الأول للآخر "كيف لا، وهو زبدة أفاضل السادة العلماء، ومن سلالة مشايخ النقشية الأتقياء. ومن أحفاد جدنا المرحوم الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، صاحب الكرامات الخارقة الظاهرة، والأحوال الفاخرة الزاهرة. مربي المريدين ومرشد الخلفاء السالكين، قطب العارفين، وغوث الواصلين, إكليل تاج العلماء والسادات المشايخ المرشدين. الراكع الساجد العلامة المجاهد، الزاهد العابد الماجد ذي الفقاهة والرشادة والسيادة والزهادة، الحجة، الحافظ الحاج السيد الشيخ حامد المشهور بشاه ماردين. قدس سره المبين. الذي هو شجرة العلم. وأسس الطريقة، ومنبع الإرشاد والحقيقة. "فأصلها ثابت وفرعها في السماء" فلقد صرف فيه

شطراً من فكره الصائب وذهنه الوقاد، في وصف النبي العربي الهاد. عليه أفضل الصلاة والسلام. ولعمري أن مؤلفها من أهل الكمال. وفقه الله وإيانا لرضائه، وأمطر عليه سحائب النوال. نفع الله به وجميع المؤمنين، وجعله ذخراً لمؤلفه يوم الدين. وسلام على المرسلين، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

تحريراً في 21 شوال 1212 .

أول الورى خادم الفقراء السيد محمد علي الحامدي

النقشبندي القادري الشافعي الرفاعي

التقريظ الآخر: للسيد الشيخ محمد طاهر المائي البرواري رحمه الله .

وهي:

مدح نفيس رفيع الشأن والحكم — كالدر فيه نبات بالبنان رمي

كالطل فوق بهار في الربيع نزل — زلاله أو نسيم هبَّ بالديم

قد حيَّك برد سناه بالبنان على — نوال البلاغة كالديباج بالقلم

قد وشيت بطرز الدر بردة من — حلى الدقائق في الألفاظ والكلم

بنثر كافور تخميس به عبقت — أردانها وبه المسك الشذي نمي

لا غرة إذ بنت فكر الفاضل العربي — جلت فأزهت لعرس البرد بالشيم

الطاهر الحامدي الغُرِّ ذي الشرف — والنقشبندي إمام العصر ذي الكرم

فجاء بنظم عجيب السبك من فكر — دقيقة وخيال بارع الهمم

فلا ترى اليوم عن ثاني له أدبا — ولا ترى اليوم من ثاني بذي النظم

كساه مولاه ثوب العفو من حلل الـ قبول باللطف والإحسان والعظم

قرظه العبد الفاني، والمذنب الجاني ضياء الدين محمد طاهر المائي البرواري الخالدي النقشبندي الحسامي العثماني عفا عنه الملك العافي."

والنسخة الثانية ورمزها (هر) تقع في 37 صحيفة. كتبت بخط نسخ مقروء واضح . خطها أجمل من نسخة (طه) في كل صحيفة 16 سطر. وفي بدايتها نفس المقدمة للمؤلف تقع في أربعة صفحات.

وفي الغلاف كتبت هذه العبارة: "وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة في شهر جمادي الأول مضى منه 28 يوم في نهار الجمعة سنة: 1305 من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين. "

يستنتج من هذه العبارة بأن إحدى النسختين منسوخة من الأخرى والله أعلم .

وفي هوامش المخطوطة تصحيحات وتغييرات جمة حاولنا اختيار ما حسبناه أصح من غيره والله أعلم.

ج – مصادر تراجم أصحاب المخمسيات

ونجد تراجمهم في كتابين ألفا عن أسرة الحامدية.

أحدهما "الشجرة الدرية في مناقب السادة الحامدية" ألفه الشيخ عبد الحليم بن الشيخ موسى الماrديني. وطبع الكتاب في سنة: 1329 هـ في مطبعة جولان في القنيطرة. وأعيد طبعه في اسطنبول في مطبعة " آلتون أولوق " في 1413هـ .

وأما الكتاب الثاني فمن تأليف السيد الشيخ محمد علي الحامدي وهو حفيد السيد الشيخ حامد. وعنوان كتابه "فيض الملك الواحد في مناقب القطب السيد الشيخ حامد وسلالة الحامدية الأماجد". وهو مخطوط. ويقع في مجلدين، وعدد صفحاته ألف ومائتين صفحة، مكتوب بخط المؤلف رحمه الله. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإخراجه مطبوعا.

هذا تخميس قصيدة البردة للمتقي بالله الكريم السيد الشيخ ابراهيم
الحامدي النقشبندي قدس الله سره وافاض الله علينا انواره وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يا مشتغلا في هوى من حل في الحرم ۝ يا مولعا من حميا الوجد أسحرِ ۝

۝ أرى فؤادك مسلوبا من السقم ۝

أمن تذكر جيران بذي سلم ۝ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ۝

نار الجوى اضرمت ليست بخامدة ۝ أنسمة نحو من تهوى بواردة ۝

القسم الأول

تراجم أصحاب المخمسيات

أ– الشيخ إبراهيم بن حامد المارديني

عاش الشيخ إبراهيم في القرن الثالث عشر الهجري. ويسر الله لي زيارة قبره زيارة شرعية قبل ثلاثين سنة تقريبا واجتمعت بثلاثة من أحفاده. وهو الابن الأكبر للشيخ حامد الذي تنتسب إليه الأسرة الحامدية.

وردت ترجمته في الكتابين المذكورين على أسلوب تراجم المتصوفين ذاك الوقت مثقلا بالمدح والسجع حيث قال عنه عبد الحليم بن موسى المارديني صاحب كتاب "الشجرة الدرية في مناقب السادة الحامدية" ما نصه مع الاختصار:

"وُلِد نوَّر الله روحه في بلدة إسعرد سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين.[28] ونشأ بها وتلقى العلوم بأسرها من معقول ومنقول عن حضرة والده. وفاز بطارف مجده وتالده. وبرع في العلوم الظاهرة والباطنة حتى أضحى فريد زمانه، ووحيد عصره وأوانه. صنف التصانيف المفيدة. وكان ذا نظم جيد، نظم في التصوف والأدب. وأبدع فيهما غاية الإبداع .

قدم ماردين مع والده سنة ألف ومائتين وستين. وهناك أدركته العناية الصمدية وجذبته القوة الأحدية. فأعرض عن الدنيا الدنية، وجدَّ في نيل العقبى الأبدية. فأفاض الله عليه أنوار الهداية واليقين، وأمده منه بالفضل المبين. فرقي في أقرب الأوقات إلى أسنى الدرجات. وكانت تُرَبِّيهِ روحانية أبيه الغوث الماجد .

وفي السنة الثالثة والعشرين من ولادته قدس الله سره أذن له والده بتربية المريدين وإرشاد السالكين. وخلفه خلافة عامة. وتوَّجه وطَيْلسه، وشهد له بالولاية وأثنى عليه. وكان يقول على ما سمعت من بعض الثقات: إن ولدي هذا قد فاق علَيَّ بسبع درجات. وفي السنة المذكورة سار إلى دارا([29]) بأمر من والده، وأخذ معه أخاه الشيخ عبد الله (...)

وفي السنة الثانية من مجيئه إلى دارا جاءه أمر من والده يأمره بالذهاب إلى عينكاف(عين كهف)[30]. فسار إليها محفوفا بالعناية والألطاف. واشتغل هناك بالتدريس ونشر العلوم. وتلمذت له أهل تلك النواحي (...)

توفي قدس الله سره سنة ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. ودفن في عينكاف، وله من العمر ما ينوف على السبعين. وقبره بها ظاهر يزار. قدس الله سره ، ونفعنا به وأنجاله .

وله من الخلفاء جمع كثير، من أجلهم وأشهرهم: شيخ هذه الطريقة المطهرة نجله الأكبر سيدنا حضرة الشيخ محي الدين حفظه الله وأيده بتأييده المتين. والثاني: صاحب الخشوع والخضوع الذاكر لله في جميع الأنفاس، الشيخ الحاج

---

[28] الموافق لـــ 1822 م

[29] دارا: بلدة بين ماردين وبين نصيبين. انظر: معجم البلدان:418/2، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (739هـ) 504 /2دار الجيل، بيروت 1412 هـ1992

[30] قرية من قرى عشيرة محلمي العربية بين اسعرد وماردين.

سعيد أفندي بن الحاج إلياس. والثالث: المتواضع لله ذو التمكين ، المتمسك بحبل الله المتين ، الشيخ محمد أمين . وكان له من المريدين والمحسوبين ما لا يحصي عددهم إلا رب العالمين.

ولأجل إتمام الفائدة أوردنا ما قيل فيه من المراثي بعد وفاته.[31] فمن ذلك السيد حسين حسني أفندي وكيل الحقوق بالمحكمة الشرعية بماردين .

هل في قلوب الملة البيضاء	غير اضطراب زائد وعناء
هل في الوجود سوى التألم والأسى	والجود مات ومرجع الخلفاء
هل في حياة الأنس أنس ما	سقطت كواكب طيبة الزهراء
فقد الإمام الحامدي أبي العلا	شيخ الإمام وبهجة العلماء
قطب الزمان سليل طه المصطفى	عين البيان وعمدة الفضلاء
الخالدي الشيخ ابراهيم من	آياته مشهورة الأنباء
بدر الطريقة والحقيقة ناشراً	وأياهما في جملة الإنحاء
عزت فضائله فوا أسفي على	تاج الكرام السادة النقباء
باتت زواياه تأن بأهلها	وله تحن اليوم كالثكلاء
كيف التصبر والصروف تعاقبت	بضياع ركن الكمل الشرفاء
وبنجله الممتاز وارث فضله	ابن الكمال وسيد الأدباء
اللوذعي هداية الله الذي	فاقت خصائصه على العرفاء
أمسى الورى مما جرى بكآبة	دينية وبمأتم وعزاء
إن القرى والرشد في كل القرى	بل في البلاد اليوم كالعنقاء
إن النهار اسود في المعنى على	ساداتنا الأعلام والفقهاء
إن الحيوة مريرة من بعدهم	فالكون مثل الليلة الليلاء
إن الطريقة مستحيل نشرها	من بعده كالعيشة الرغداء
إن الملمات التي وقعت بنا	لعظيمة يا أعظم العظماء
أجبر كسير الحامدية ما نحا	خلفائهم يا أكرم الكرماء
عالج بترياق العناية ما بهم	يا سيدي من لوعة الأحشاء
وأقم مقام الشيخ شيخا مثله	في قطر مديات من الأنباء
روح بروحك روح سادات لقد	شربا الولاء هما من السعداء
ألبسهما خلع الرضا بالمصطفى	ياربنا في جنة العلياء
واجعل جليسهما علي المرتضى	وارحمهما يا أرحم الرحماء

[31] نهاية المراثي بها تاريخ الوفاة حسب القيم الأبجدية

وعلى الهلالي المريد إلهنا فيض المراد أفض وجد بعطاء
في شأنهم قل يا حسين مؤرخا زر وابتهج بمراقد الشهداء
سنة: 1313 207، 417 ، 347 ، 342

ولبعضهم[32] فيه مخمساً:

يا أمكنا ببهي النور قد سطروا
وبالفيوضات والألطاف قد غمروا
أمن تعشقكم أحداقنا فجروا

أم من فراق كرام بينكم قبروا
سالوا دما ومدى الأيام قد فجروا

نفسي الفداء لقوم بينكم رقدوا
وقبل رحلتهم لله اجتهدوا
وارشدوا الخلق طرا بعدما فسدوا

ولم يميلوا إلى الدنيا ولا اعتمدوا
إلا على الله مولاهم به نصروا

وا حسرتي من فراق السادة النبلا
من ودهم في كلام الله قد نزلا
يا لائمي في هواهم لا تلمني على

تفجُّعي فيهم اسلامنا شملا
لولاهم لترى الأديان قد هجروا

[32] اسم هذا الشاعر ذكره السيد الشيخ محمد علي في كتابه (فيض الملك الواحد) حيث قال:"وقال الفاضل الأديب، العالم اللبيب الشيخ عبيد الله بن الشيخ محمد سعيد أفندي الكرجوسي(الكفرجوزي) إمام الشوافع بجامع الكبير في ديار بكر مخمساً.

فهم شموس سماء المجد والكرم
ومنبع الفضل والآلاء والنعم
قد كان من جودهم عظمي ولحمي ودمي

فكيف لا أشتهي من بعدهم عدمي
عليهم رحمة الديان ما ذكروا

بالله يا زائر القبرين عندهما
لا تنسني من دعاء الخير أنهما
والله أصداف علم أملؤا حكما

واستنجدنهما للأرض مستلما
فإنهم من رحيق الله قد سكروا

لما فشا القول أن القطب قد رحلا
وعن قريب له النجل الزكي تلا
خاطبت قبته البيضاء مرتجلا

شوقي تاريخك يا مشهد الفضلا
20 ، 360 ، 943= سنة: 1313 هـ
صدر الجمال بك أن حل مالقمرُ

ومن ذلك قول فخر أدباء الزمان، ومن له في كل معنى بديع لسان، الشيخ الأجل الحسيب، والمولى الأديب النسيب، الشيخ طاهر أفندي المائي البرواري:

يا عين جودي بالبكا واسترشدي حزناً على الشيخ الإمام الأوحد
قدت ظهور العالمين بفقده وغدت معيشتهم إلى الحال الردي
غابت نجوم الرشد بعد وفاته وبدت مآثر جهل ظلم المعتدي
مالت نفوس الناس إثر ذهابه نحو الشقاوة والضلال المفسد
ضعفت عقائدهم وشتت أمرهم فكأنهم لم يبق فيهم مهتدي

ابدوا المناهي غافلين عن الهدى ... حتى كأن من اهتدى لم يهتد
قد أهملوا الذكر الخفي وقبل ذا ... كم كان منهم مختل بمعابد
مسكوا العقارب والأفاعي زاعمين ... بأن ذلك حسب حال العابد
ضربوا الحديد عليهم وتقربوا ... بالنار نحو جلال باب الواحد
أين الحقائق والدقائق والمعا ... رف قل لهم أم أين شرع محمد
لما ترحل ذلك السند القويم ... الحامدي الهاشمي الخالدي
من هذه الدار الخراب الفانية ... نحو الجنان مكر ما بتعبد
أدناه مولاه حظيرة قدسه ... في مقعد الصدق الجميل المورد
قد خصه برضائه ولقائه ... طوبى له في نيل ذاك المقعد
إذ كان ابراهيم حال رشاده ... مصباح عصره بل وكعبة قاصد
أفنى وجوده في الطريقة مذ نشا ... متخلقاً عن حامد بمحامد
ذو الهمة العلياء والحلم الوفي ... العالم الورع التقي الزاهد
قد كان أواها حليماً خاضعاً ... متواضعاً حلال كل معاقد
يا دهر قدم ثم أخر من نشا ... من بعد ذا القطب الأجل الماجد
لا تستحي في ذاك وافعل معلناً ... فات الذي كنا به قد نقتدي
عن طاهر المائي أتى هذا النداء ... أسفا على ذاك الولي المرشد
"

انتهى كلام صاحب الشجرة الدرية.

يتضح من المرثية الأولى أن أحد ابناء الشيخ إبراهيم وهو الشيخ هداية الله توفي في نفس السنة التي توفي فيها والده. لذا ختمت القصيدة بخطاب التثنية.

وفي المرثية الأخيرة نشاهد تشكي قائلها من زوال الاهتمام بالذكر الخفي وهو ذكر النقشبندية الذي لا يصحبه رقص أو طبول أو حركات موزونة كالتمايل والدوران على خلاف بعض الطرق الأخرى. فالذكر عند النقشبندية أن يجلس الواحد منهم متوجها للقبلة في هدوء تام ثم يذكر الله باسمه أو بكلمة التوحيد فيكرر (لا إله ألا الله) في نفسه محافظا على سكونه حتى ينتهي من مجلسه. ويشتكي كذلك صاحب المرثية من انتشار ظاهرة الضرب بالحديد والإمساك بالأفاعي والعقارب بعد وفاة الشيخ إبراهيم. وهي ظاهرة عارضها مشائخ الحامدية لاعتبارهم تلك الأفعال من البدع الخارجة عن الشريعة كما رويت من كبار الأسرة. ولا عجب من مخالفة الشيخ إبراهيم هذه الأمور فهذا موقف العلماء نحو هذه التصرفات في كل العصور.

وترجم له كما أسلفنا ابن أخيه السيد الشيخ محمد علي الحامدي في كتابه المخطوط: "فيض الملك الواحد في مناقب القطب السيد الشيخ حامد وسلالة الحامدية الأماجد" وعبارات الشيخ محمد علي كذلك مثقلة بالسجع والمديح الطويل على عادة أهل ذاك الزمان. فننقل من النسخة الخطية ترجمته مع الاختصار حيث قال: [33]

"الباب الرابع: وفيه الفصل الأول في الطبقة الأولى: في مناقب حضرت العم المرحوم ، الدارج لرحمة ربه الغفور. العلامة الفاضل الكريم، المرشد الكامل الحليم، ذي الرشادة والسيادة والزهادة السيد الشيخ ابراهيم، الحامدي الخالدي النقشبندي قدس سره.

صنف التصانيف المفيدة. منها: نظم جيد في التصوف والأدب، ورسالة " الذخيرة الوهبية في الطريقة النقشبندية"[34] ورتبها على سبعة أبواب.

الباب الأول: في بيان حقيقة التوبة، والدنيا وغرورها، وآفاتها، والحذر منها.

الباب الثاني: في ذكر المعاصي وتخويف مرتكبها .

والباب الثالث: في وجوب التوبة، وفضلها والحث عليها.

الباب الرابع: في إثبات الطريقة النقشبندية، وفضلها وتفضيلها على سائر الطرق بالدلائل، وبيان آداب السلوك فيها.

الباب الخامس: في الآداب التي تتعين على الشيخ، وعلى المريدين معه والإخوان. الباب السادس: في ذكر الكلمات القدسية في مصطلحات السادة العلية النقشبندية، وبيان الخلوة والسلوك وفوائدها وفضائلها .

والباب السابع: في مناقب شمس فلك الحقيقة الأنورية ، بدر سماء الشريعة الأزهرية، صفوة بني الزهراء البتول، ناشر أعلام الطريقة، مظهر أسرار الحقيقة. الزاهد العابد العلامة المجاهد، الحاج الحافظ السيد الشيخ حامد الرضي النقشبندي القادري الخلوتي الشطاري. وذكر فيه كراماته وإجازاته من مشايخه، وأساتيذه في العلوم والطرق العلية.

وللعم المرحوم تخميس، وتسبيع على قصيدة البردية في مدح خير البرية. وكانت له يد طولى في الطب والفقه والتفسير والحديث، وعلم العقائد والتصوف والحقائق. وقد ظهرت له كرامات زكية وخوارق علية ، مشهورة في القضاء ، واللواء .

(...)

وكان قدس سره على جانب عظيم من الهيبة والوقار، وكان بحراً في العلوم لايقع عليه عيار. وكان قدس سره يحب الصمت، ويكره الغيبة والنميمة والفساد. ويرشد لمن أحب الدخول في الطريقة العلية وأراد.

(...)

---

33 نقل الشيخ محمد علي عن مؤلف الشجرة الدرية ما كتبه في ترجمة الشيخ إبراهيم. وتفاديا للتكرار حذفنا ما نقله من كتاب الشجرة الدرية. ووضعنا موضع ما حذفنا نقاطا ثلاثة (...)

34 لدي نسخة مخطوطة لهذا الكتاب. أسأل الله تعالى أن ييسر طبعه في وقت قريب

انتقل من عينكاف إلى ناحية حصن كيفا (حصن كهف) وبقى فيها ، وخلف ولده الأكبر الشيخ محي الدين في الطريقة النقشبندية . وأقامه مقامه في الحصن . (...)

وله من الخلفاء جمع كثير. من أجلهم وأشهرهم شيخ هذه الطريقة المطهرة نجله الأكبر خلاصة العابدين قوة عين الزاهدين الشيخ محي الدين حفظه الله وأيده بتأيده المبين.

والثاني الحاج سعيد أفندي بن الحاج إلياس أمام الشافعية في جامع الأولي (الكبير)بديار بكر. كان عالماً صالحاً زاهداً (...) فخلفه ولده العالم اللبيب، الفاضل الأريب، المستفيض فضله وكماله من الله، ذي الفضيلة الملاَّ عبيد الله شوقي أفندي. فنصب إماما للشافعية في المسجد المذكور محل والده. فاق بالعلم والفضل على أبيه وجده.

والثالث: المتواضع لله ذو التمكين الشيخ محمد أمين.

وأما صفته: فكان أجعد العينين، طويل الأهداب. مربع القامة، طلق اللسان. حليم خاشع زاهد. ذي طباع سليمة، وأفعال مستقيمة. متواضع شفيق ذي رحم على الفقراء والمساكين. سخي الوجود.(...)

. فتوفى قدس الله سره سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر. ودفن في عينكاف،(...)

وفي تاريخ بناء القبة أرخ العالم الفاضل الملا عبيد الله شوقي بن الشيخ محمد سعيد الكرجوسي(الكفرجوزي) الأصل إمام جامع الكبير في دياربكر بقوله:

ذا ضريح السيد الشيخ النبيل حامدي الكأس ذى اسم الخليل

فارق الخلان لما أن صفا ارجعي يا نفس للرب الجليل

يا مريد الرشد دم أعتابه بخضوع كي ترى الفضل الجزيل

زره يا شوقي وقل تاريخه أنت أصل الند والمجد الأثيل

572،84،85،121،451=1313هـ

...

وقال العالم الماهر، والذكي الفطن الشاعر، سعد الدين زاده ونائب ناحية عينكاف حالاً الشيخ طاهر أفندي بقوله:

هذا مقام السيد المنسوب للمصطفى خير الورى المحبوب
إن رمت نيل القصد والمطلوب أو كنت في ضيق من الكروب
نادى لقطب الغوث حامي الحمام واخضع بقرب لوائه المنصوب
هذا ضريح الشيخ ابراهيم من أضحى الورى في سره مجذوب

ذا طاهر السعدي جائك سيدي يرجو الرضا إذ أنه محسوب

وقال الفاضل الأديب، الشاعر الأريب الحاج حسن أفندي المارديني:

هل في حياة الانس أنس بعدما سقطت كواكب طيبة الزهراء
الخالدي الشيخ ابراهيم من آياته مشهورة الأنباء
باتت زواياه تان وأهله وله تحن اليوم كالثكلاء
اللوذعي هداية الله الذي فاقت خصائصه على العرفاء
إن النهار أسود في المعنى على سادتنا الأعلام والفقهاء
إن الملمات التي وقفت بنا لعظيمة يا أعظم العظماء
وأقم مقام الشيخ شيخاً مثله في قطر مديات من الانباء
واجعل جليسهما على المرتضى وارحمها يأأرحم الرحماء
غير الكآبة والعناية والنوى هل في قلوب الملة البيضاء

وقال بعض الأدباء يرثى العم المرحوم قدس سره العالي:

أسفى على من قائم الليل ساهراً يناجي وعيناه بالدمع فائرا
ولهفي على شيخ فقدت شيخه كبدر منير غاب عند السرائرا
لقد كان بدرا على الناس جمعهم فغاب ولايرجع إلى يوم محشرا
واهمل أهل القرى وبلاده حيارى فكارى كالهيام الفرائرا
وكل العيالي واليتامى وصنفهم فقير ومسكيناً ضعيفاً وحائرا
كأفراخ زغب فاقدامها تهم بغير قفار ذائلين على الوكوا
فكيف ولا أبكي عليه مدى المدى وقد كان كنزاً للعلوم كذا بحرا
لقد صبر العلم يتمياً وخاملاً واخوانه السادات دهلى عن الأدرا
وكان أنيسا للجليس ورغبة شديداً لدين الله كهف وكالصخرا
فعند هزيع الليل ياتيني ذكره أنوح ولا أدري كاني بالسقر
عليه رضا الرب في كل ساعة ونور ورحماة على ورحه تترا
ويحشرنا إياه في زمرة غدا ويشفع لنا يوم إذا اشتدت الأمر
لقد حرر العبد الحقير قصيدة بتاريخ غين ثم راء لها سرا
كذلك قاف ثم جيم بنقطة تليه بياء للحساب هي عشرا

قال حضرت الفاضل الكريم العم الحاج السيد الشيخ عبد الحليم في حق أخيه الشيخ المشار إليه من حزنه وتأسفه على فراقه الصوري بقوله:

فقدنا القطب كان أخا الكبير فوا أسفا هو البدر المنير
توفي في جمادى ذا حبيبي لأربعة خلت منه الأخير
ليوم التسع من تشرين ثاني ففي صبح الخميس قضى الخبير
فقدناه فوا حزني عليه فأورث قلبنا هم كثير
بزهد ثم حلم قد تردى لقد أبكى له جم غفير
كذا في الزوايات بدت بحزن لقنديل المساجد قد تشير
أمام للطريقة والمشايخ به يدعى وذا قولي يسير
ترى أوصافه الحسني كما لا وأخلاقاً عجا باقد تحير
وكان في الملا دوما يراقب لرب العرش مولانا البصير
فمن ذا قد رأه يقول مدحك بهذا الشيخ فيه إذا قصير
تسمى للخليل بذاك أعنى لفقده لمنا خطب كبير
أبو المسكين والضيفان فاعلم أبو الأيتام والحلم الغزير
تعالوا يا مريديه بنا كي لتبكي الأرض والشجر الخطير
على فقدان شيخ أي جليل قلوب السالكين به تنير
فكان حياته شمسا علينا فغابت وجهه عنا المنير
فأدلى بالظلام لفقد شيخ عظيم القدر والعلم الجدير
فأورث جملة الاسلام حزناً لثلمته فأنت الله خبير
وبعد وفاته ياء و واء أصبنا الهم والغم الكدير
بفقدان له ولد عزيز فحزني زاد والدمع الكثير
فيالهفا ويا أسفا عليه لمهجة قلبنا حزنا يصير
بشيخ هداية الله أفتجعنا أصيب الحامدي سهم كبير
فيا عبد الحليم إصبر وصابر فهذا امر مولانا القدير
فيارب افرغ الصبر علينا فأنت العالم المولى البصير
ومنك رحمة انزل عليهم تنور مرقديهم يا كبير
وفي جنات عدن أنزلنهم من الملبوس سندس والحرير
فقلت مذ توفي صاح ارخ فقدنا القطب كان أخا الكبير
235 ، 142 ، 71، 602، 263

قد ورث الولاية والعلم والفضل والإرشاد عن أبيه وجده قدس الله سره، ونفعنا خيره وبره آمين." انتهى كلام الشيخ محمد علي.

يوافق وفاة الشيخ سنة 1895 من التاريخ الميلادي. وخلفه في عينكاف ابنه الشيخ فتح الله واستمر الإرشاد والتدريس في مدرسة الشيخ إبراهيم بعد وفاته بإشراف ابنه إلى تأسيس الجمهورية ومنع المدارس الدينية بالقوانين الرسمية. رحمهم الله جميعا رحمة واسعة.

ب- الشيخ عبد الحليم بن حامد الماrديني

وهو الابن الرابع للشيخ حامد. زرت كذلك قبره زيارة شرعية في قرية الأحمدية التابعة لقضاء صور من أقضية ماردين. واجتمعت أيضا بأحفاده الذين استمروا في التدريس والإرشاد بمدرسته حتى الثمانينات بشكل غير رسمي. فلعلها أطول المدارس الحامدية عمرا وآخرها انقراضا. فقد استمر التدريس فيها مدة تزيد على مائة عام.

يقول عنه صاحب الشجرة الدرية:

"ولد حفظه الله تعالى في مدينة سعرد سنة: 1257 هـ. وقدم ماردين مع والده. ونشأ بها على أتم حال من القيام بوظائف الطريقة. وخلفه والده خلافة عامة، وأرسله إلى قرية طناط. فسار إليها، وتلمذ له هناك جماعة كثيرة. وانتمى إليه جمع عظيم. (...)

وكان له عدة خلفاء.

فأولهم: نجله الأكرم الشيخ نجيم.

والثاني: نجله الشيخ محمد طاهر.[35]

والثالث: نجل أخيه الشيخ كمال.

والرابع: نجله الشيخ صالح. نفعنا الله بهم، آمين" [36]

وقال عنه ابن أخيه الشيخ محمد علي الحامدي في كتابه فيض الملك الواحد:

"ولد حفظه الله في مدينة سعرد وذلك في سنة 1257هـ ثم انتقل مع والده إلى قرية كيري، ثم إلى حصن كيفا، ثم إلى قرية كيري. (...)

وقرأ على والده القرآن وتجويده. ثم العلوم الدينية من فقه وعقائد وتفسير وحديث. ثم علوم الآلة من صرف ونحو ومنطق وبيان وبديع ومعاني. ثم العلوم العقلية من حساب وهندسة. ثم الأصول والحكمة والهيئة. فأجازه والده وشيخه حضرة الجد القطب الغوث الماجد السيد الشيخ حامد بجميع ما أجازه مشايخه وأساتيذه الكرام. ونشأ على أتم حال من القيام بوظائف الطريقة. وريَّضه الرياضات والخلوة والسلوك التام المسمى بالخلوة الأربعينية المعتبرة عند السادة النقشية، حين نال مقام الفناء بعد البقاء. وجاوز الوقوفات الأحدية والمعية المعتبرة عند السادات الصوفية. فتوَّجه وطَيْلَسه، وخلَّفه الخلافة التامة في الطريقة العلية النقشبندية، والقادرية، والسهرودية، والكبروية، والخلوتية، والشطارية. كما أجازه مشائخه الكرام العلماء الأعلام. وأجازه في التوجه وإلقاء النور في قلب المريدين. وبقراءة الختم الخاجكاني، وإعطاء الأوراد للطالبين. وأرسله إلى قرية طِنَاطْ من آخر عشيرة العُمَرْكانية. فسار إليها واتخذ له هناك جماعة كثيرة. وانتمى إليه جمع عظيم. (...)

وله قدس سره خلفاء. أولهم: العالم الأديب المرشد الفاضل الأديب، نجله الكبير الشيخ محمد نجيم.

والثاني: العالم الجليل، المحقق اللسن النبيل، الفاضل الماهر نجله السيد الشيخ محمد طاهر.

---

[35] وهو صاحب المخمسية الثالثة. سترد ترجمته بعد ترجمة والده.

[36] الشجرة الدرية ص299

والثالث: العالم الفقيه، المرشد الزاهد النبيه، ذي الفضل والتمكين السيد الشيخ محمد كمال الدين.

والرابع: الداعي الفقير. أجازني في الطرق العلية، وفي العلم، وفي الطريقة الرفاعية. والخامس: نجله الزاهد الفالح، السيد الشيخ محمد صالح.

والسادس: العابد الأسعد، الفاضل الأمجد، العَرْباني الشيخ أحمد الحامدي (نسبة وليس نسباً) الخالدي النقشبندي بن الشيخ عبد الله الديركي الحامدي الخالدي النقشبندي، خليفة حضرة الجد قدس سره. وله من المأذونين من الصوفية والمريدين ما يزيد عن المئين. منهم: العابد الحاج رمضان الإيدوي. كان أذن له في الطريقة الرفاعية وفي أورادها. فلما أذن لجميع الناس بمسك الحيات والعقارب والإلقاء في النار وشرب السم، فنهاه عن ذلك لسبب مخالفتها الشريعة والطريقة عن ذلك.

(...)

وهو يربي المريدين، ويرشد السالكين في قرية الأحمدية. ويستفيد منه الطالبون. وله من المؤلفات منها: الكواكب الدرية تخميس البردية. وسبيل الرشاد نظيرة بانت سعاد. والألفية في مدح خير البرية. ورسالة في التصوف وغير ذلك. (...) انتقل إلى الأحمدية بأمر والده شاه ماردين. فلم يزل ينشر الطريقة العلية، في بَرِّيَة ماردين والعَمْرَكانِيَة، والعَلِيكِيَّة، وقضاء الصَّوْر، والبَهْرَمْكِيَة، والديرفرية، والسُّورِكِجِية. (...)

وتوجَّه في سنة 1300هـ لأداء حجة الإسلام، هو وأخوه الشيخ عبد الله وقد مر عليه الكلام. واجتمع بالشام بمشايخها وعلمائها الأعلام. وأخذا منهم الإجازات المتعددة. من جملتهم العلامة المحدث الأثري، الشيخ سليم الكُزْبَري. ومن الحجة المحدث المدرار، الشيخ سليم العطار. ومن العالم الفاضل والمرشد الكامل، الشيخ محمد وفاء الرفاعي في الطريقة العلية الرفاعية. (...) وقد أجازه حضرة الجد الشيخ الكبير، في الطرق وفي الحديث المنير. فأحببنا ذكر إجازته الشريفة تبركاً بلفظها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله الذي قسم لأهل الحديث وافر نصيب وزاد، ووفقهم من الانتظام في سلك أسانيد حديث الشفيع يوم المعاد. وجعلهم جامعين لصحيح الفضائل والكمال المرفوع العماد. ومنحهم حسن الحديث والتقرب والوداد، وسيَّر الراحل لطلبه عزيزا وغريبا في البلاد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها وتقصده عند الانفراد. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرسل رحمة للعباد، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين مادامت سلسلة الإسناد، متصلة إلى يوم التناد.

أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى السيد حامد الخالدي النقشبندي بن السيد الشيخ عبد الله الحافظ، قد التمس مني ولدي العالم الفاضل، مربي المريدين ومرشد السالكين، السيد عبد الحليم أن أروي له الحديث المسلسل بالأولية، وأجيزه بروايته عني. فأجبته لما سأل بالأولية من شيخي العلامة الشيخ أحمد الكزبري، هو أول حديث سمعته منه، عن والده العالم الفاضل الكامل الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري، وهو أول حديث سمعته منه وهو يرويه عن المحدث بدر الدين بن محمد بن أحمد المقدسي، وهو أول حديث سمعته منه وهو يرويه عن الشيخ مصطفى أبو النصر الدمياطي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به الشيخ محمد بن أحمد بن عقيلة، وهو أول حديث سمعته منه وهو

يرويه عن الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي المشهور بابن عبد الغني، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به المعمر محمد بن عبد العزيز التنوخي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به الشيخ المعمر أبو الخير بن عموس الرشيدي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا شيخ الإسلام الشريف زكريا بن محمد الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به خاتمة الحفاظ الشهاب أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا به الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به الصدر أبو الفتح محمد بن محمد البدوي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرَّاني، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن يحيى البزاري، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. »

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فقد أجزت الولد المذكور إجازة عامة يخبر من يشاء ممن هو أهل وأسأل لي وله التوفيق بالقول والعمل. إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. أقول وأنا الفقير السيد حامد الخالد النقشبندي إني قد أجزت للولد الصُّلبي بسماعه للحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة، فيسمع من أراد بهذه الإجازة. وأجزته أيضاً إجازة عامة فيما تجوز لي روايته، وتصح درايته من علوم وأعمال وطرائق وأحوال. وأسأل الدعاء لي ولوالدي، ولمن تعلق بي. وأوصيه بتقوى الله وطاعته. وروايتي عن مشايخ أكثرين لمن أراد من الطالبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. قاله بفمه وأمر برقمه السيد حامد الخالدي النقشبندي.

قلت ولقد مدح العم المشار إليه جمع ليس بقليل من العلماء. فمنهم قول العالم الفاضل الشيخ محمد طاهر السعدي، يمدح الشيخ المشار إليه:

ذوي الإرشاد يا قطب الزمان ... ويا من فاق كل المرشدينا

حويت العلم والفخر جميعاً ... مع الأسرار بين العالمينا

لكم رايات يا ما شاهدوها ... ذوي الأبصار في سر دفينا

رؤوا أهل الحقائق في خفاهم ... كرامات وصاروا شاهدينا

ألا ما الفخر إلا من هداكم ... أيا أهل العلوم الراسخين

فيا شيخ الزمان أبو نجيب ... ويا قنديل نور الناظرين

شمائلكم تنبأ أن فيكم ... علامات النقاء الصالحينا

وأسرار لكم في الجو تسموا ... على الأفلاك بل هم راتعينا
فما خابوا بما طلبوا ولكن ... بأفراح تراهم راجعينا
ونحن خاننا الدهر بنكب ... فجئنا لحيكم يا طاهرينا
عسى الإمداد تأتي من حماكم ... إلى هم دعانا مخرقينا
ونرجع بالسرور ونلقى جهرا ... بما قد كنا عنكم سامعينا
قصدنا نحوكم نبغي نوا لا ... فجودوا واسمحوا يا خيرينا
فمن ماردين جئناكم بقصد ... معاذ الله نرجع خائبينا
إله الخلق يعطيكم منا كم ... ويبقيكم بعز سالمينا
وصلِّ يا إلهي ثم سلم ... على الهادي شفيع المذنبين

قلت وللعم المشار إليه نظم نفيس، يحاكي لفظه ريش الطواويس، في التصوف والعقائد والمواعظ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم . فمنها قوله في العقائد:

الحمد لله رب العالمين على ... عقيدتي سلمت في كل أشكالي
فأشهد الله هذا القول ثم كذا ... جماعة المسلمين الكل إعدال
آمنت بالله قلباً قالباً وكذا ... بالأنبياء جميعاً فافتهم أقوالي
وبالملائكة والكتب أجمعها ... حقاً من الله نتلوها بلا قال
آمنت بالقدر كله من الله ... الخير والشر فاعلمها بإكمال
من يوم موتي إلى حشري وميزاني ... بأنه يوم حق آخر الحال
والوزن حق ونشر الصحف يومئذ ... حوض النبي فخذ قولي بسلسال
أما الجنان فحق أي ثمانية ... والنار سبع وحور العين للغالي
هذا اعتقادي فإني لا أفارقه ... حتى أوسد في لحدي بإدخال
شهادة القول هذا فاشهدوه علي ... جماعة المؤمنين لله في حال
فيا إلهي ويا مولاي ياسندي ... فأنت تواب من جاءك بإقبالي
فجئت بابك ربي تائباً وَجلا ... لتمحوا أوزاري بإكرام وأفضال
توفني مسلماً وألحقني ياسندي ... بالصالحين أولى علو وإكمال
فأدخلني جنتك العلياء رب بها ... بحور عين وولدان بأفضال
دنياي متعني بالسمع والبصر ... وصحة الجسم والإعزاز بإكمال
وكن حفيظاً لأولادي كذا حفدي ... من شر كل ذوي شر أيا عالي
كذاك عززني يا ربي ويا سندي ... بالعزِّ والنصر والتوفيق بإقبال

ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد المصطفى المختار والآل

وله قدس سره أيضاً في الموعظة من حرف اللام :

اجتنب سبعاً أنت يا صاحبي موبقات مهلكات ذي نكل
خص منها الشرك والسحر الذي يقلب الأشياء سحراً وبطل
ثم قتل النفس فاعلم يا فتى ثم قذف المحصنات بالزلل
ثم مال لليتيم آكل سوف يشعل بطنه ناراً يصل
ومعاطات الربا تأويله كيف يعطي للجواب من أكل
ثم للزاني عذاب مؤلم في سعير ولهيب يشتعل
فاجتنبها يا أخي واسمع لما قلت فادر واجتنب هذا العمل

وقد نظم أيضاً الكبائر التي هي منقولة من روح البيان في تفسير القرآن عند قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الإثم الآية. وهي أربعة وسبعون كبيرة في خمسة وثلاثين بيتاً فأحببت ذكرها :

أنبئك ما فسَّر في القرآن كبائر الإثم بلا تواني
أولها الرياء شرك أصغر وشربه للخمر ذا لا ينكر
وقتل نفس ثم قذف المحصنة كذاك سحر والزنا بالزّانية
وتركه للصوم والصلاة وتركه للحج والزكاة
وسوء ظن يا فتى بالله كذلك الحلف بغير الله
وأكل مال لليتيم والحسد كذاك ترك للوفاء بالعهد
عقوق والديه قطع الرحم كذلك إلحاده بالحرم
كذاك لعن الشخص والديه بأن يسب أو يُسَبْ لديه
وقوله لمسلم يا كافر كذا مصادق أمير جائر
أذية الرسول سبُّ الخلفا وسبُّه لعالم بلا خفا
أكل الربا وسرقة النصاب قطع الطريق فافتهم ذا الباب
والسعي بين الشخص بالفساد والظلم والبغي على العباد
تعيبه لأحد بالناس تطفيفه في الكيل والقسطاس
نكاحه للكف واللواطة إتيانه للمرأة الحائضة
إتيانه بهيمة لقد ورد خلوته بأجنبية تعد
إصراره على الصغيرة قد أتا بذلك الحديث حقا ثبتا

شهادة الزور كبيرة أتت ... يمينه الغموس أيضاً ثبتت
وتركه الجمعة والجماعة ... فذاك ممن لم ينل شفاعة
بالفقرا استهزائه بفقرهم ... كذا التواضع لغني لما لهم
تصديقه الكاهن والنياحة ... كذاك من قال بها استباحة
وتركه العدل في حق القسم ... وتركه الشكر فيما قد قسم
والكر والعجب كذا الفناء ... مراده الشهوة والصداء
وغيبة تجسس لقد أتى ... وحب دنياك لها قد ثبتا
وتركه للأمر بالمعروف ... وترك نهي منكر مألوف
والرقص عند آلة الرباب ... وسمعه الملاهي في ذا الباب
والنظر للأمرد المليح ... عن شهوة من جملة القبيح
إظهاره الصلاح فيه يشهر ... إخفائه للفسق ذا لا يجهر
وكتمه الشهادة أثيمه ... والسجدة لغيره عظيمة
واللعب بالنرد كذا المطالعة ... في علم غيب فافتهم ذا اللامعة
دخول بيت الغير لا بإذنه ... كذلك الأنظار به بعينه
كذا القصاص لا بغير عدل ... كذا متابع الهوى المصل
كذلك السخر على الأقوام ... فإنها من جملة الآثام
وأخذه الصلة والعطاء ... من أهل جود أنها عناء
كذالك السرور بالغلاء ... تعييبه الطعام بالإيذاء
نظمتها سبعون أربع أتت ... اجتنبوا فإنها قد ثبتت
كبائر الإثم بها قد صرَّحا ... روح البيان يا أخي قد وضحا

ومن مؤلفاته قدس سره ديوانه المسمى بالألفية في مدح السادات الصوفية.
وقد نظم سور القرآن العظيم وأحببنا بذكر تمامها لأنها جميلة جداً هذه :

أم الكتاب لقد سمت بفاتحة ال ... كتاب ثم تليها سورة البقرا
وآل عمران لاننسى قرائتها ... ثم النساء تليها كن إذا حذرا
واسأل الله أن يرزقنا مائدة ال ... أنعام أعراف أنفال افهم السورا
وتوبة يونس هود ويوسفنا ... كذاك رعد وابراهيم والحجرا
والنحل إسراء كيف مريم انتبذت ... طه أنبياء لحج المؤمنين قرا
نور لقد نور الرحمن بالشعرا ... والنمل والقصص والعنكبوت جرا

والروم لقمان سجدة أحزاب في سبا فاطر و ياسين والصافات ص زمرا
سبع الحواميم كل خص معرفة بمؤمن سجدة شورا كما سترا
وزخرف ودخان ثم جاثية أحقافنا لقتال الفتح خذ خبرا
عليك بالحجرات قاف ثم كذا والذاريات وطور النجم والقمرا
عظيمة سورة الرحمن رتلها وسورة الواقعة ثم الحديد ترا
يا للمجادل في حشر لممتحن في وقت صف ليوم الجمعة خذا أثرا
يا للمنافق في يوم التغابن إذ كان الطلاق بتحريم له ظهرا
داوم على الملك ليلا يا أخا تقة تكن شهيداً كما قد صح واشتهرا
وسورة النون ثم الحافة وكذ ال معارج تليها نوح كما استطرا
والجن تهتف إذ جاء المزمل وال مدثر والقيامة كن إذا حذرا
واتلو المدثر ثم المرسلات نبا والنازعات عبس تكوير انفطرا
يا للمطفف يوم الانشقاق إذا ال بروج من طارق الأعلى لقد حدرا
لاتنشى غاشية في الفجر والبلد والشمس والليل تتلوها الضحى سورا
وسورة الانشراح والتين والعلق والقدر بينة الزلازل سوف ترا
والعاديات لقد جاءت بقارعة تكاثر العصر والهمزة فخذ عبرا
وسورة الفيل اقرأها ترى عجباً كذا قريش وما عون بهذا اشتهرا
وماء كوثر نرجو الله نشربه والكافرون يزدادوا غماً حيرا
والنصر تبت مع الاخلاص في فلق والناس تمت فخذ ياصحبي السورا
وأدعوا لناظمها عبد الحليم ففي خمس وعشرين بيتاً نظمه افتقرا

وقد أمر بكتابة بيتين على قبره بعد وفاته :

يا زائراً قبري طاب المزار قدم على ذلك ليلا نهار

واطلبن من الإله رحمة تنقذني من صار ذاك النار

وله نظم كثير في المواعظ والأمثال والحكم والمحبة والشوق والفناء في الله. ومدح النبي صلى الله عليه وسلم لو ذكرناها لطال الكتاب بذكرها. فاختصرنا فيما قدمنا. فإن أردت التطويل فارجع إلى كتابه المذكور، فإنه يشفي غليل فؤادك من شراب السلسبيل. فلله دَرُّه من علاَّمة لبيب وفطن أريب. وله مؤلفات جمة تدل على اتساع علمه وغزارة حلمه" انتهى كلام الشيخ محمد علي نقلا عن المخطوط.

وقد توفي الشيخ عبد الحليم في قرية الأحمدية حوالي 1910 م.

ج- الشيخ طاهر بن عبد الحليم بن حامد المارديني

سبق في ترجمة والده الشيخ عبد الحليم أنه من خلفائه.فهو من أحفاد الشيخ حامد.

يقول عنه عبد الحليم الماrديني مؤلف الشجرة الدرية:

"ولد حفظه الله تعالى سنة 1281 هـ في قرية الأحمدية، ونشأ بها. وتخرج على والده في العلوم. وأخذ عنه الطريقة مع الإذن بالإرشاد. وسار إلى طناط[37] . فتلمذت له أهل تلك الناحية، وانتفع به خلق كثير. وهو عالم زاهد ورع تقي. معظم عند أهل التصوف. أديب شاعر بليغ. حسن الخلق، طيب النفس، جميل الأخلاق. وهو الآن في قرية طناط يربي المريدين، ويرشد السالكين مع أخيه الشيخ صالح ."[38]

ولقد ترجم له ابن أخيه السيد الشيخ محمد علي الحامدي في كتابه فيض الملك الواحد المخطوط بعد نقل ما قاله صاحب الشجرة الدرية:

"ونشأ في قرية الأحمدية. وقرأ علوم العربية من صرف ونحو ومنطق وبيان ووضع وآداب ومعان على الفاضل السديد العالم المفيد السوركي ملا محمد رشيد. وقرأ الفقه والحديث والتفسير والعقائد على والده حضرت العم. وأجازه بما تجوز له روايته من الحديث والتفسير والعقائد وجميع علوم العقلية والنقلية. وأقعده في السلوك والخلوة الأربعينية. وخلفه الخلافة التامة في الطرق العلية النقشية والقادرية والرفاعية. وتوجه وطيلسه. وكتب له إجازة في الطرق المذكورة، وأذن له في الإرشاد وتربية المريدين وإرشاد السالكين. والتوجه وختم الخواجكاني، وحلقة الذكر القادري والرفاعي. (...) له اليد الطولى في العلوم العربية والفقه. محقق للمسائل. له قوة الاستخراج للمسائل الركيكة.

وله مؤلفات جمة، منها: طيب الوارد في شرح مرثية القطب الشيخ حامد. قد شرح مرثية العالم الفاضل، الشاعر الأريب الكامل، عبد الله أفندي العمري الموصلي. شرحاً بليغاً مُسَجَّعاً. بين فيه جميع مناقب حضرة الجد. (...)

وقد قرظت رسالته المسماة بالمواهب السنية والدرر السمتية في تخميس البردية بهذه السجعات . (...) [39]

وله في الشعر يد طولى. وكذا له الحواشي في علوم العربية. وله أربعة من الأولاد، يجهدون في طلب العلم سالكين طريقة الإرشاد. وهم السيد محمد شمس الدين، والسيد محمد بدرالدين، والسيد عبد اللطيف، والسيد محمد نوري. ووالدتهما السيدة سكينة بنت العم المرحوم الحليم السيد الشيخ ابراهيم. وبنت اسمها نسل خان، ووالدتها أختي الشقيقة المرحومة الصالحة السيدة عاتكة. وأما صفة هذا الشيخ فهو طويل القامة، أدعج العينين، كث اللحية آدم اللون. كريم الأخلاق، عالم جامع للعوم، متفق على جلالته وعلو شأنه على الإطلاق. وهو الآن في قرية طناط يربي المريدين، ويرشد السالكين. ويدرس العلوم للطلبة مع أخيه الشيخ صالح حفظهما الله، وزاد إرشادهما للعباد، بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين، آمين." انتهى ما كتبه الشيخ محمد علي .

[37] قرية في نصيبين التابعة لماردين
[38] الشجرة الدرية ص311
[39] سبق أن نقلنا هذا التقريظ من المخطوطة عند التعريف بها وحذفناها من هنا تفاديا للتكرار

توفي السيد الشيخ طاهر سنة: 1925 أو 1926 م في قرية طناط ودفن فيها. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

القسم الثاني

تحليل مختصر لقصيدة البردة والمخمسيات الحامدية

متون المخمسيات الحامدية على الكواكب الدرية

تحليل مختصر لقصيدة البردة والمخمسيات الحامدية

أ–تحليل قصيدة البردة

البردة من بحر البسيط. ووزن البسيط كالتالي
مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ ** مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ

وتقطيع أول بيت من البردة كالتالي

أمن تذك /كرجي/ رانن بذي/ سلم** مزجت دم/عن جرى/ من مقلة/ بدم

مُتَفْعِلُنْ /فَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ/ فَعِلُنْ ** مُتَفْعِلُنْ /فَاْعِلُنْ /مُسْتَفْعِلُنْ/ فَعِلُنْ

يلاحظ الخبن في العروض والضرب. والخبن حذف الحرف الثاني الساكن كما هو معروف. إذ نرى (**مُسْتَفْعِلُنْ**) ورد على شكل (**مُتَفْعِلُنْ**) و (**فَاْعِلُنْ**) ورد على شكل (**فَعِلُنْ** .(

لقصيدة البرأة أو البردة سحر بياني ونغمة جذابة. تتغنى القصيدة بحب صادق نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويحس القارئ بحرقة الغرام لدى البوصيري. حيث يقول:

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

يرى البوصيري الرسول عليه الصلاة والسلام سيد الجن والإنس:

محمد سيد الكونين والثقليـ ـن والفريقين من عرب ومن عجمِ

والرسول عليه الصلاة والسلام عند البوصيري نال الحسن خَلقا وخُلُقا قبل بعثته:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسم
منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ولعل السر في انتشار القصيدة واهتمام الأدباء بها يكمن في عباراته الصادقة في التعبير عن شدة حبه واشتياقه. فهو يحاول أن يرقى بالمديح إلى أعلى حد يستطيع الوصول إليه. لا يؤله ممدوحه ولكن يرى كل مدح دون التأليه لائقا به فالرسول صلى الله عليه وسلم أهل له. بل الألسنة قاصرة عن بيان فضله.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس لـه حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفـم

ولكن يضع الحد في تعظيمه بإثبات بشريته بقوله:

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خير خلق الله كلهـمِ

ويراه فائقا على جميع الأنبياء:

فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علمٍ ولا كـرم

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديـمِ

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكـم

ويعود ويفاضل بينه وبين الأنبياء ويجعله في مقدمتهم جميعا فيقول:

وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهـم

فإنه شمس فضلٍ هم كواكبهـا يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ثم نجده يذكر حسن أخلاقه وجميل أوصافه قائلا:

أكـرِمْ بخَلْقِ نبيٍّ زانَـهُ خُلُقٌ بالحُسنِ مشتَمِلٌ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ

كالزَّهرِ في تَرَفٍ والبدرِ في شَرَفٍ والبحرِ في كَرَمٍ والدهرِ في هِمَمِ

كـأنَّهُ وهْوَ فَرْدٌ مِن جلالَتِهِ في عسكَرٍ حينَ تلقاهُ وفي حَشَمِ

كـأنَّمَا اللؤلُؤُ المِكنُونُ في صَدَفٍ مِن مَعْدِنيَ مَنْطِقٍ منه ومبتَسَمِ

لا طيبَ يَعدِلُ تُرْبَا ضَمَّ أعظُمَهُ طوبى لمِنتَشِقٍ منه وملتَثِمِ

ويتذكر ما حدث في مولده صلى الله عليه وسلم من أمور خارقة للعادة:

أبانَ مولِدُهُ عن طِيبِ عنصُرِهِ يا طِيبَ مُبتَدَإٍ منه ومُختَتَمِ

يَومٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرسُ أَنَّهُمُ قَد أُنذِرُوا بِحُلُولِ البُؤسِ والنِّقَمِ

وباتَ إِيوَانُ كِسرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ كَشَملِ أصحابِ كِسرَى غيرَ مُلتَئِمِ

والنارُ خامِدَةُ الأنفاسِ مِن أَسَفٍ عليه والنهرُ ساهي العَيْنِ مِن سَدَمِ

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيرَتُهَا وَرُدَّ وارِدُهَا بالغَيْظِ حينَ ظَمِي

كأَنَّ بالنارِ ما بالماءِ مِن بَلَلٍ حُزْنَاً وبالماءِ ما بالنار مِن ضَرَمِ

ويتحدث عن آيات نبوته ومعجزات رسالته:

جاءت لِدَعوَتِهِ الأشجارُ ساجِدَةً تمشِي اِليه على ساقٍ بلا قَدَمِ

كأنَّمَا سَطَرَتْ سطرا لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِن بديعِ الخَطِّ في اللَّقَمِ

مثلَ الغمامَةِ أَنَّى سارَ سائِرَةً تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ للهَجِيرِ حَمِي

وينقل حادثة الغار:

وما حوى الغارُ مِن خيرٍ ومِن كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكفارِ عنهعَمِي

فالصدقُ في الغارِ والصدِّيقُ لم يَرِمَا وهُم يقولون ما بالغارِ مِن أَرِمِ

ظنُّوا الحمامَةَ وظنُّوا العنكبوتَ على خيرِ البَرِيَّةِ لم تَنسُجْ ولم تَحُمِ

وِقَـايَةُ اللهِ أغنَتْ عَن مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وعن عـالٍ مِن الأُطُمِ

ونجده يعدد فضائل القرآن الكريم ويمدحه مدحا قويا. فيذكر بعد ذكر محتواه إعجازه وإحكامه وبلاغته وسعة معانيه وكثرة عجائبه:

آيـاتُ حَقٍّ مِنَ الرحمنِ مُحدَثَةٌ قـديمَةٌ صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَمِ

لم تَقتَرِن بزمـانٍ وَهْيَ تُخبِرُنا عَنِ المِعَـادِ وعَن عـادٍ وعَن اِرَمِ

دامَتْ لدينا ففاقَتْ كُـلَّ مُعجِزَةٍ مِنَ النَّبيينَ اِذ جاءَتْ ولَم تَدُمِ

مُحَكَّمَاتٌ فمـا تُبقِينَ مِن شُبَهٍ لـذي شِقَاقٍ وما تَبغِينَ مِن حِكَمِ

ما حُورِبَت قَطُّ الا عـادَ مِن حَرَبٍ أَعدَى الأعادِي اليها مُلقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بلاغَتُهَـا دَعوى مُعارِضِهَا رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجانِي عَن الحُرَمِ

لها مَعَـانٍ كَموْجِ البحرِ في مَدَدٍ وفَوقَ جَوهَرِهِ في الحُسنِ والقِيَمِ

فَمَا تُعَدُّ ولا تُحصَى عجائِبُهَا ولا تُسَامُ على الاِكثـارِ بالسَّأَمِ

قَرَّتْ بِهَا عينُ قارِيها فقُلتُ لـه لقد ظَفِرتَ بِحَبْلِ الله فاعتَصِمِ

كـأنَّهَا الحوضُ تَبيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ مِنَ العُصَاةِ وقَـد جاؤُوهُ كالحُمَمِ

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعدَلَةً فالقِسطُ مِن غيرِهَا في الناسِ لم يَقُمِ

لا تَعجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنكِرُهَا تجاهُلا وَهْوَ عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قد تُنكِرُ العينُ ضَوْءَ الشمسِ مِن رَمَدٍ ويُنكِرُ الفَمَ طعمَ الماءِ مِن سَقَمِ

ويحكي سير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القدس وعروجه إلى السماء.

سَرَيتَ مِن حَرَمٍ ليلا الى حَرَمٍ كما سَرَى البَدرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وبِتَّ ترقَى الى أن نِلتَ مَنزِلَةً مِن قابَ قوسَيْنِ لم تُدرَكْ ولَم تُرَمِ

وقَدَّمَتْكَ جميعُ الأنبياءِ بها والرُّسْلِ تقديمَ مخدومٍ على خَدَمِ

وأنتَ تَختَرِقُ السبعَ الطِّبَاقَ بهم في مَوكِبٍ كُنتَ فيه صاحِبَ العَلَمِ

حتى اذا لم تدَعْ شَأْوَاً لمستَبِقٍ مِنَ الدُّنُوِّ ولا مَرقَىً لمستَنِمِ

ويحدثنا عن غزواته.

ما زالَ يلقاهُمُ في كُلِّ مُعتَرَكٍ حتى حَكَوْا بالقَنَا لَحمَا على وَضَمِ

وَدُّوا الفِرَارَ فكادُوا يَغبِطُونَ به أشلاءَ شالَتْ مَعَ العُقبَانِ والرَّخَمِ

تَمضِي الليالي ولا يَدرُونَ عِدَّتَهَا ما لم تَكُن مِن ليالِي الأُشهُرِالحُرُمِ

كأنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُم بكُلِّ قَرْمٍ الى لَحمِ العِدَا قَرِمِ

ثم يأخذ في تأنيب نفسه على التقصير :

خَدَمْتُهُ بمديحٍ أستَقِيلِ بِهِ ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعرِ والخِدَمِ

إذ قَلَّدَانِيَ ما تُخشَى عواقِبُهُ كأنني بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

أَطَعتُ غَيَّ الصِّبَا في الحالَتَيْنِ وما حَصَلتُ إلا على الآثامِ والنَّدَمِ

فيا خَسَارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِهَا لَمْ تَشتَرِ الدِّينَ بالدنيا ولم تَسُمِ

ومَن يَبِعْ آجِلا منه بعاجِلِهِ بِينَ له الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْبَاً فما عَهدِي بمُنتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبلِي بمُنصَرِمِ

ولكن يرى بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذمة لكونه تسمى باسمه:

فإِنَّ لي ذِمَّةً منه بتَسمِيَتِي مُحَمَّدَاً وهُوَ أوفَى الخلقِ بالذِّمَمِ

إِنْ لم يكُن في مَعَادِي آخِذَاً بِيَدِي فَضْلا و إلا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ أو يَرجِعَ الجارُ منه غيرَ مُحتَرَمِ

ومُنذُ أَلزَمْتُ أفكَارِي مَدَائِحَهُ وجَدْتُهُ لخَلاصِي خيرَ مُلتَزِمِ

ولَن يَفُوتَ الغِنَى منه يَدَاً ترِبَتْ إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأَكَمِ

ويذكر نفسه بعدم القنوط من رحمة الله:

يا نَفْسُ لا تَقنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الكَبَائِرَ في الغُفرَانِ كاللَّمَمِ

لعَلَّ رَحمَةَ رَبِّي حينَ يَقسِمُهَا تَأْتِي على حَسَبِ العِصيَانِ في القِسَمِ

يا رَبِّ واجعَلْ رجائي غيرَ مُنعَكِسٍ لَدَيْكَ واجعلْ حِسَابِي غيرَ مُنخَرِمِ

وَالْطُفْ بعَبدِكَ في الدَّارَينِ إِنَّ لَهُ صَبراً مَتَى تَدعُهُ الأهوالُ ينهَزِمِ

ويختتم القصيدة بالتضرع إلى الله والصلاة والسلام على رسوله:

وائذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منك دائِمَةٍ على النبِيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنسَجِمِ

ما رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رَيحُ الصَبَا وأَطرَبَ العِيسَ حادِي العِيسِ بالنَّغَمِ

ب- تحليل مخمسية الشيخ إبراهيم

والمخمسية متوافقة مع البردة بطبيعتها في بحر البسيط.

يا مشغفن / في هوى/ من حلّ بِالْ/ حرم *** يا مولعن/ من حمي/ يَ لْوجد وَالن/نهم

مستفعلن / فاعلن / مستفعلن /فعلن *** مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

سبق أن ذكرنا عن الشيخ إبراهيم أنه كان مرشدا في الطريقة النقشبندية. ولابد من انعكاس نشوته الصوفية على مخمسيته. فهو لا يحاكي قصيدة البردة في وزنها وقافيتها فحسب. بل ويشارك البوصيري الذي كان متصوفا منتسبا للطريقة الشاذلية في شغفه وولوعه وحرقة فؤاده حيث يقول:

يا مشغفا في هوى من حل بالحرم

يا مولعا من حميا الوجد والنهم

أرى فؤادك مسلوا من السقم

و هذا يناسب طبيعة التخميس. إذ أن المخمس لولا مشاركته صاحب القصيدة التي يخمسها في إحساسه ومشاعره لما استطاع أن يأتي بأشطر ثلاثة تتوافق مع بيتي القصيدة.

إبداء مشاعر الغرام هو مبتدأ البردة والمخمسية فهذا أساس مذهب أهل التصوف و يبتني مبدؤهم على حب الله والإكثار من ذكره تعالى بما يزيد هذا الحب. واتخاذ محبة الرسول صلى عليه وسلم وسيلة الوصول إلى الله.

وتجدر هنا الإشارة إلى جزئية. المعروف في العادة أن الغرام يحصل في القلب برؤية المغرم به. أما البوصيري والشيخ إبراهيم فيبديان فرط الحب والشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مشاهدته. يجب هنا التفريق بين أن يحب الإنسان شخصية تاريخية يعجب بصاحبها لعلمه أو أدبه بعد قراءة كتبه أو قراءة سيرته وبين حب يعده صاحبه عبادة وتقربا. ولعل هذا سبب العبارات التي تفيد فرط الحب في المدائح النبوية.

البوصيري تفيض عيناه بالدموع حين يقول: (فما لعينيك إن قلت اكففا همتا) وأما الشيخ إبراهيم فيذهب إلى أبعد من ذلك حيث يبكي دما وتبيضُّ عيناه بقوله قبيل هذا الشطر

(عيناك من سيل دمع العشق قد عمتا

والدم بالدمع فوق الخد قد جرتا).

البوصيري مصاب بالأرق (لو لا الهوى لم ترق دمعا على طلل – ولا أرقت لذكر البان والعلم) والشيخ إبراهيم مصاب في جسمه. يذكر ذلك في تخميس البيت السابق بقوله (وانحل جسمك بالأسقام والعلل).

وعندما ياتي عند بيت غدا مثلا لحسن صياغته لا يتأخر عن الإشادة بالبوصيري فيقول:

واصغ لقول الإمام البوصيري مثلا

والنفس كالطفل إن تهمله شب على *** حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ويذكر البوصيري شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فينبه الشيخ إبراهيم إلى كون الشفاعة من نوع الدعاء المستجاب فيقول:

(هو المجاب بأمر الله دعوته) قبيل هذا الشطر (هو الحبيب الذي ترجى شفاعته).

البوصيري قد يشير إلى حادثة معروفة موجزا. والشيخ إبراهيم يجعل مخمسيته مجالا لتفصيل ما أوجزه صاحب البردة. فتكتمل أشطر المخمسية التي تفصّل المعنى بإيجاز البوصيري.

ونمثل لهذا بذكر البوصيري إحدى الإرهاصات المشهورة وهي ما وقعت في بلاد الفرس. حيث يقول

يوم تفرس الفرس فيه أنهمُ *** قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

البوصيري يذكرنا بفراسة الفرس حين أُنذروا ويؤخر ذكر الحوادث. والشيخ إبراهيم يسبقه بذكر الحادثة وكيفية الإنذار قائلا:

من العجائب أن الفرس نارهمُ

قد أخمدت وصروف الدهر خانهمُ

والخزي حاق بهم والذل هانهمُ

فيأتي بيت البوصيري مكمّلا المعنى بإجمال:

يوم تفرس الفرس فيه أنهمُ *** قد أنذروا بحلول البؤس والنقم.

البردة قد تتحدث بإبهام والمخمسية تعيّن. يتكلم البوصيري عن منكري القران الكريم بإبهام فيقول:

لا تعجبن لحسود جاء ينكرها *** تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ***وينكر الفم طعم الماء من سقم

فيأتي الشيخ إبراهيم فيعين هذا المنكر باستخدام واو الجماعة فيقول:

من شدة الكفر والطغيان والعند

لم يذعنوا لكلام الواحد الصمد

فخالفوه وما مالوا إلى الرشد

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ***وينكر الفم طعم الماء من سقم

والواو هنا راجعة إلى العرب وفي مقدمتهم كفار قريش مع أنه لم يسبق ذكرهم . فالبوصيري لم يقصد غيرهم لأنهم هم من يتصفون ب (عين الحاذق الفهم). فقد فهموا الآيات واعين ولكن كفروا حاسدين متكبرين.

وهناك تلميحات يُشعر الشيخُ إبراهيم القارىءَ باختصاصه في العلوم الشرعية. يقول مثلا عن القران الكريم:

يعطى لقاريها نور يستضاء به

في القبر والحشر قد جاء الحديث به

وهو الشفيع غدا للعاملين به

وهو بهذا يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ (رواه مسلم)

ويشير في قوله عن المعراج:

له تجلٍّ بعين الذات والنظر

فشاهد الحق بالأحداق والبصر

كما روى مسلم عن سيد البشر

إلى الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عنِ ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "رآهُ بفُؤَادِه مرَّتَيْنِ".

فليس من عادة الأدباء التلميح إلى الأحاديث الشريفة بل هو أسلوب علماء الشريعة كما هو معروف.

يختم الشيخ مخمسيته بسبعة أبيات يتحدث فيها عن نفسه :

واغفر لمن قام بالتخميس وشَّحه وهذَّب المدح بالأشواق والنهم
عشقاً لحضرة خير الخلق شافعنا عسى يكون من الأتباع والخدم
هو المسمى بإبراهيم ذي الخطأ الحامدي العلوي المنسوب من قدم
مالي سوى نسبي من آل عترته أرجو بها الغوث يوم الهول والعصم
يارب إن لم أفز منهم بعاطفة وعين لحظ فقد أفضيت للعدم
فاقبل ولائيَ فيهم لا تخيِّبني عسى بهم أنتظم في سلك حزبهم
والحمد لله حمدا دائما أبدا على اختتامي لتخميس ومنتظم

بدأ الشيخ إبراهيم المخمسية في الشطر الثاني بقافية (النهم) وختمها ب(النهم) . وعرف بنفسه اسما ونسبا بقوله (الحامدي العلوي) نسبة إلى والده الشيخ حامد وإلى علي بن أبي طالب وهي عادة الحسنيين والحسينيين. ويؤكد نسبه بقوله (نسبي من آل عترته) ويرجو بواسطة عاطفة الأبوّة وولائه لهمم فوزا تنجيه. وكأنه استمد هذا المعنى من قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) لأنه لا يكتفي بالانتساب ولكن يضيف الولاء إلى أجداده.

ج- تحليل مخمسية الشيخ عبد الحليم

تبدأ المخمسية بهذه الأشطر من بحر البسيط

كيف التصب/ بر من/ وجدٍ ومن/ ألم *** في مدح من/ حبّه/في القلب كال/ علم

مستفعلن / فعلن / مستفعلن /فعلن *** مستفعلن / فاعلن / مستفعلن/ فعلن

ويوافق باقي القصيدة أوزان البحر.

يصح ما قلناه عن الشيخ إبراهيم في الشيخ عبد الحليم من مشاركة مشاعر البوصيري في التألم بسبب الغرام. فهو ايضا يستعير المعاني المعبرة عن شدة الوجد من البوصيري حين يستهل التخميس بقوله:

كَيْفَ التّصَبّرُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ أَلَمِ
فِي مَدْحِ مَنْ حُبهُ فِيْ اَلْقَلْبِ كَالعلَمِ
فَقُلْتُ لَمّا جَرَى دَمْعِي مِزَاجِ دَمِ

حيث يخلط الدم بالدمع كما يقول البوصيري عن نفسه (مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

وحين تخميس بيت ورد به استفهام يستخدم الشيخ عبد الحليم النهي. وهو بذلك يوافق نوع الاستفهام. حيث يقول البوصيري

فكيف تنكر حبا بعدما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم

يبدأ الشيخ عبد الحليم في تخميس هذا البيت بقوله:

لا تنكر الحب إن العين قد شهدت
عليك والسقم أيضا فيك قد ظهرت
أيختفي حال من أجفانه سهدت

ونرى المخمس يأتي بقواف تخالف القصيدة في الإعراب. وذلك للضرورة الشعرية. وهذا من الأمثلة البارزة إذ يقول:

دعاك حالي إلى ما كان مستترا
عن العيون وصار اليوم منتشرا
فقلت لما هوى قلبي لمختبر
عدتك حالي لا سري بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنسجم

البوصيري يذم نفسه بذكر صفتها فيقول:

فإن أمّارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم

فيخمس الشيخ مصرحاً ب(النفس) فيقول:

نفسي لسوء سبيل الغي قد غلظت
وما انتهت عن فعال الشر إذ وعظت
وجاء شيبي برأسي وهي ما حفظت

وعند تخميس بيت آخر يقتبس الشيخ كلمات قرآنية من قوله تعالى: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ}(سورة المرسلات 32-33) فيقول:

كيف الخلاص إذا ما رامت الشررا

كأنها في جمالات لها صفرا

فأعطت الحس بالباقي فبئس شرا

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير محتشم

ويكرر اقتباسه من الذكر الحكيم من قوله تعالى { إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (سورة التوبة 40) في موضع آخر بقوله:

وثاني اثنين إذ بالغار قد نزلا

والعنكبوت بنسج قد سما حللا

ظَنّوا ووَلّوا وَخَابَ الظن والْأَملَا

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

وعند ورود حادثة المعراج يذكر الشيخ عبد الحليم فرضية الصلاة. وهذا من قبيل وضع الرواية في إطار الشعر بما يشير إلى اهتمام المخمس بالفقه اهتماما يسوقه إلى هذا.

هذا لأمر عجيب ما سواه نظم

في حضرة العرش ما أحلاه حين قدم

وخصه بصلاة الخمس ذاك علم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم

ويتطرق في نفس الحادثة إلى موضوع رؤية الرسول صلى عليه وسلم لربه فيقول:

لقد رأيت جمال الله في الأفق

رقيت حقا طريقا أشرف الطرق

ونلت ما نلت من خَلق ومن خُلُق

حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم

وهو يشير بذلك إلى أنه على رأي من يعتقد رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه في المعراج.

وفي المخمسية ثلاث أبيات خمسها الشيخ عبد الحليم مرتين. وأثبتت في المخطوطة. ولعل المخمس أعاد تخميس هذه الأبيات بما يناسب ذوقه الأدبي.

ونورد هنا أشطر التخميسات كي تظهر الفوارق بين التخميسين للأبيات الثلاث:

نَفْسِيْ اَلْخَبِيْثَةُ مَا أَصْغَتْ لِمُنْتَبَه
كَمْ قَدْ وُعِظْتُ وَلَمْ تَرْعَ لِمَطْلَبِهِ
وَكُلّمَا أَزْجرْهَا مَا تَقُوْلُ بِهِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

هذا التخميس الأول. أما التخميس الآخر على نفس البيت فهو كالآتي:

وَكَمْ أَمَرْتُ بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَعْتُ بِهِ
فَلَا بِوَعْظٍ وَنُصْحٍ صِرْتُ مُنْتَبِه
وَكَمْ جَهِدْتُ وَلَمْ تخش لِسَطْوَتِهِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

البيت الآخر الذي تكرر تخميسه كالآتي مع التخميستين

آهٍ لِنَفْسيَ مَا قَدّمْتُ عَامِلَةً
لِيَوْمِ اِحْضَار قَبْلَ اَلْمَوْتِ آمِلَةً
وَلَا اَدّخَرْتُ مِنَ اَلتَّقْوَى مُكَامِلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

فأضاف قائلا:

وَا حسرتا مَا عَمِلَت اَلْيَوْمَ عامِلَةً
وَمَا جَمَعَتُ مِن اَلْأَوْزَارِ حَامِلَةً
كَيْفَ اَلْخَلَاصُ إِذَا مَا صِرْتُ مُحْمَلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ) (40)

وتخميسه الأول للبيت الثالث الذي كرر تخميسه هو :

آهٍ لِنَفْسيَ مَا قَدّمْتُ عَاْمِلَةً
لِيَوْمِ اِحْضَار قَبْلَ اَلْمَوْتِ آمِلَةً
وَلَا اَدّخَرْتُ مِنَ اَلتَّقْوَى مُكَامِلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

والتخميس الآخر للبيت:

وَا حسرتا مَا عَمِلَت اَلْيَوْمَ عامِلَةً
وَمَا جَمَعَتُ مِن اَلْأَوْزَارِ حَامِلَةً
كَيْفَ اَلْخَلَاصُ إِذَا مَا صِرْتُ مُحْمَلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

وقد يؤكد الشيخ عبد الحليم في تخميسه حقيقة ذكرها البوصيري بالمجاز. إذ يصف البوصيري رسول الله صلى عليه وسلم بالشمس بين سائر الأنبياء الذين يصفهم بالكواكب فيقول:

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

فيخمس الشيخ قائلا

هو الْفَرِيْد عَلى الْأَقْرَانِ أَطْنبها

هُوَ الْوَحِيْد عَلى الْأَمْثَالِ أجْمَعُهَا

فَلَيْسَ يُحْصى لِحَصرِ الكَمِّ غَايَتها

فيؤكد بهذا توحّده صلى الله عليه وسلم كتوحّد الشمس بين سائر الكواكب.

ويشير الشيخ عبد الحليم إلى ختم النبوة في ظهره صلوات الله وسلامه عليه بإشارة لطيفة حيث يقول:

والله لَيْسَ لَهُ فِي الْخَلْقِ مُسْتَبِقٌ

---

40 يظهر أن صاحب المخمسية كرر تخميس البيت

نُوْرُ الْنّبُوّةِ فِيْ كتفيه مُلْتَصِقٌ
وَمن ثَنَا نُوْرِهِ الْأَرَضيْن منُشرِقُ
أكرم بخلق نبيّ زانه خلـــقٌ بالحسن مشتمل بالبشر متســم
فيشبه ختم النبوة بنور ملتصق بين كتفيه عليه الصلاة والسلام.
وعندما يقترب من النهاية يصرح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جده ويذكر اسمه فيقول:
أَمْدَاحُ جدي رسول اللهِ قد بَلَغَتْ
شرقا وَغَرْباً بِأَنْوَاعٍ قد اتفقت
قصدي شَفَاعَتُهُ يَوْمَ اللّقَا عرفت
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفـت يدا زهيرٍ بما أثنى على هــرمِ
لَقَدْ أَتَاكَ عُبَيْد في تَطَلّبِهِ
عَبْدُ الحليم يرجي في نَوَائِبِهِ
تَكُوْنُ عوناً له في ضيق مذهبه
يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ بــه سواك عند حلول الحادث العمـم

وعندما ينهى البوصيري نفسه عن ترك القنوط يسبقه الشيخ عبد الحليم بذكر حسن الظن بالله. وهو ربط لطيف. فترك القنوط من رحمة الله وارد في القرآن { **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الزمر 53)** وحسن الظن أمر نبوي حيث يقول صلى الله عليه وسلم : "لا يَموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله – عز وجل"رواه مسلم. فالمخمس أشار إلى كون ترك القنوط من جملة حسن الظن بالله. واستبشر كذلك بالشفاعة فقال:

إِنْ شَاءَ رَبِّيْ بِحُسْنِ الظَّنِّ قَدْ عُلِمَتْ
إِنَّ الشَّفَاعَةَ للمداح قَدْ لَزِمَتْ
كَذَاكَ لِلْأُمَّةِ الْغَرَّاءِ قَدْ نمت
يا نفس لا تقنطي من زلةٍ عظمـت إن الكبائر في الغفران كاللمــم

د- تحليل مخمسية الشيخ طاهر

استهل الشيخ الطاهر –وهو ابن الشيخ عبد الحليم صاحب المخمسية السابقة- تخميسه للبردة بمقدمة على خلاف المخمسيات الأخرى.

وبين في المقدمة رأيه في قصيدة البردة بأنها أحسن المقال بين المدائح النبوية. وأنه أراد اقتفاء أثر من خمسوها. ويعتذر عن قصيدته لكونها كتبت من غير تمرين ويطلب ممن قرأها أن يغض الطرف عن عيوبها ويصحح ما رآى من

أخطائها. ولعله لهذا السبب توجد في المخطوطة تصحيحات كثيرة في الهوامش لا يمكن معرفة مصدرها: أهي من المخمس نفسه أو من اجتهادات من اجتهدوا لسماح المخمس بالتدخل.

وذكر أنه سماها ب "المواهب السنية والدرر السمتية في تخميس القصيدة البرئية"

وأوردنا هذه المقدمة كما في هي في المخطوطة. وختم المقدمة بذكر اسمه. ونفهم من المقدمة أن والده كان على قيد الحياة أثناء كتابته المخمسية لأنه يقول في اسمه " ابن العالم الفاضل، والمرشد الجليل الكامل، ذي الأنفاس القدسية مولانا السيد الشيخ عبدالحليم الحامدي الخالدي النقشبندي، أدام الله تعالى أيام حياته وأفاض علينا من رشحات نفحاته".

تبدأ مخمسية الشيخ طاهر ببيت فيه الحمدلة والصلولة على خلاف المخمسيات الأخرى.

الحمد لله منشي الخلق من عدم   ثم الصلاة على المختار من قدم

فيقول في تخميس البيت الأول:

يا هامعاً/ شأنه/ بالخد كالد/ دِيَم   نشران من/انتشا/ق العرف من/ إضم

مستفعلن/فاعلن /مستفعلن /فعلن ***   مستفعلن/ فاعلن/مستفعلن/ فعلن

استخدم الشيخ في بعض الأبيات ألفاظا متقاربة. فيقول:

قد بل بلباهم بالبال كالوبل

جوانح الصب من تبريحهم تمل

والدمع يذرف بالوجنات من مقل

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل   ولا أرقت لذكر البان والعلم

وقريبا من ذلك نجده في هذه الأشطر:

صد عنوة عنهما واهجر لما زعما

لا تأتمر منهما نهياً ولا حكما

ولذ بمولى حكيماً حاكماً حَكَما

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

والملاحظ أنّ أصل الجملة من غير الصياغة الشعرية هي: لذ بمولى حَكَمَ حكيماً أي بالحكمة وحاكما أي متحكما.

البوصيري يذم الجوع والشبع فيقول:

واخش الدّسائس من جوع ومن شبع   فربّ مخمصة شرّ من التّخم

فيخمس الشيخ طاهر البيت بذكر سبب الجوع والشبع المذمومين. فالجوع المذموم ما كان ناتجا عن الطمع والشبع المذموم ما كان ناتجا عن الأكل زيادة على الشبع. حيث يقول:

متبَّر من ملأ بطناً على شبع

كذاك مقترها جوعاً على طمع

قد فاز ساديهما تبعاً لمهتلع

ونجد أيضا تخميسا متكررا للبيت الواحد عند الشيخ طاهر مثل الذي عند والده الشيخ عبد الحليم رحمهما الله:

ماديت في الغي ما راعيت لي عملاً

آنست إني بهنجاءٍ أدوم بلا

مستنجد حسرتي إذ ما ضجيجي علا

ظلمت سنة من أحيي الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

والتخميس الآخر:

ولا لحسن نجاتي أتخذ سُبلا

وما ادخرت من الخيرات لي سَبلا

إلا شفاعة خير الخلق والرسلا

ظلمت سنة من أحيي الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

ويورد الشيخ طاهر أيضا ألفاظا من القران الكريم إذ يقول:

أبان حرصاً علينا نهج مشربه

كذا هذا لتُغَب عن لهج مأدبه

فهو الرحيم فنعم المستجار به

لم يمتحنا بما تعي العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

والإشارة إلى قوله تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (سورة التوبة 128)

ويختتم الشيخ طاهر المخمسية بذكر اسمه مع التاريخ وهو ثلاثة من شهر ذي الحجة عام 1300 فيقول:

طاهر عُبَيْدك عام الألف خمسها

بعد الثلاثمائة الغفران يرجو بها

كذا الثلاثة في ذي الحجة ألَّفها

واغفر لمنشدها وارحم مؤلفها بجاه من مدحه في النون والقلم

عفو جميل بفضل منك يعضدنا

وامح الذي قد جنينا من صحائفنا

من المساوي وبالإحسان عاوضنا

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا   وامسح لنا ما مضى يا واسع الكرم

أ- مخمسية الشيخ إبراهيم الحامدي

يا مشغفاً في هوى من حل بالحرم
يا مولعاً من حمايا الوجد والنهم
أرى فؤادك مسلوا من السقم

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

نار الجوى أضرمت ليست بخامدة
أنسمة نحو من تهوي بواردة
عليك أم نشر طيب منه بفاتحة

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق من الظلماء من إضم

عيناك من سيل دمع العشق قد عمتا
والدم بالدمع فوق الخد قد جرتا
عواذل اللوم لاموا لست ملتفتا

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

يا منكر العشق إن العشق مضطرم
قد بان للناس من آثاره علم
فكيف بالجحد هذا الحال ينكتم

أيحسب الصب أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم

إن الصبابة تنمو والغرام جلي([41])
في قلبك المبتلى بالوجد والغلل
وانحل جسمك بالأسقام والعلل

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم

لا شك منك مياه العشق قد وجدت
إليك طائفة العشاق قد وردت
والآن تنكرها والبينات بدت

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم

لاحت أمارات([42]) وجد في الهوى علنا
وشاع ذكرك في العشاق معتلنا
ولم تزل في زفير الوجد والحزنا

وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى
مثل البهار على خديك والعنم

[41] في (ع) حلي.
[42] في (ط) علامات

دعواكمُ صح أن العشق أقلقني
أفشى دليل الهوى سرِّي([43]) وسابقني
نعم جفوني من الأشجان أغرقني

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألم

دع الملام فنار الشوق([44]) مسعرة
وعنه قاطبة العشاق نافرة
جرى دموع الأسى كالعين ناهرة

يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم

لوم العواذل فرط الحب يمنعه
إذ لم أزل من حميا الحب أجرعه
وما تقول فأني لست أتبعه

محضتني النصح لكن لست أسمعه
إن المحب عن العذال في صمم

فرط الهوى كحَّل الأجفان بالسهر
على مراقبة المحبوب والفكر
لذاك قلبي نحيل فيه منسعر

عددتك حالي لا سري بمستتر
عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

---

43 في (ط) (ستري)
44 في (ط) (العشق)

آه لعمري مضى ملغىً بلا عمل
مسوداً صحفي الوزر والتذلل
والشيب حل عذاري منذرا أجلي

إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي
والشيب أبعد في نصح عن التهم

نفسي أصرت على الأهوال و انبسطت
وللوظائف والطاعات قد رفضت
في سكر غفلتها باتت وما يقظت

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب و الهرم

ما باشرت لمما إلا وقد ظهرا
ولا اجتنت وزرا إلا وقد سطرا
ولا اقتفت أثر الأبرار والخيرا

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسي غير محتشم

الوقت ولَّى وضاع العمر أوفره
مضى زمان الصبا في اللهو أكثره
ولم أعظِّم مشيبي بل أحقِّره

لو كنت أعلم أني ما أوقره
كتمت سرا بدا لي منه بالكتم

نفسي طغت وتمادت في شقاوتها
وكل خلق ذميم فهو شيمتها

يامن يخلِّصني من فور هفوتها

من لي برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم

فجاهد النفس واسع في رياضتها
واخش المهيمن تأمن سوء سطوطها
واحجبها من كل ما يفضي لشقوتها

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها
إن الطعام يقوي شهوة النهم

خالف هواها ولا ترض لها عملاً
ورقِّها في رياض الذكر مرقى علا
واصغ لقول الإمام البوصري مثلا

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

خف الإله فلا تقرب مناهيه
وراقب الحق لا تنس تجليه
واقمع هوا النفس واخش تواليه

فاصرف هواها وحاذر أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

أمارة في بوادي الإثم قائمة
وفي مراتع روض الغي هائمة
قدها تفيئ لأمر الله عازمة

وراعها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

يا ويح[45] نفس غدت للشر مائلة[46]
وأصبحت في مهاوي الغي نازلة
ولم تزل عن رضى الرحمن غافلة

كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السُّمَّ في الدسم

دع التفاخر لا تركن إلى الطمع
وارفض لأعمالك المذمومة الشنع
أدِّب وهذِّب وحذِّرها من البدع

وأخش الدسائس من جوع ومن شبع
قرب مخمصة شر من التخم

حاسب لنفسك عن أعمال ما صنعت
من المآثم والعصيان ما جنحت
وتب إلى الله وابرم كل ما نقضت

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزم حمية الندم

فكن من النفس والشيطان معتصما
وجاهدنها ترقى وتغتنما
رضى الإله تفز في خُلْف أمرهما

---

45 في (ع) (ويل)
46 في (ط) (قائلة)

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتّهم

نُحْ وابك دوماً على عمر قد انعدما
مضى على شِقْوَةٍ مما جنى جرما
عاداك أعداك فاحذر من سِهامِهما

ولا تطع منهما خصماً ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

استنجد الله إنقاذي من الخطل
واستعيذ به من فجأة الأجل
وأستجير به من وقفة الخجل

استغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذي عقم

كم آمرنَّ بأمر ما امتثلت به
ومنكر وارتكاب قد هممت به[47]
والقلب في غفلات[48] غير منتبه

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استقمت فما قولي لك استقم

نفسي بآمالها أضحت موغلة
وعن تزوُّد يوم العرض غافلة

---

[47] في (ط) (وعن مناهي بنهي قد أتيت به)
[48] في (ط) (مما سواه)

وما عملت(ولا اكتسبت) بما أرجو مساهلة

ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم أصلِّ سوى فرض ولم أصم

ضيعت عمري وما ادخرت([49]) لي عملا
ولا اقتفيت سبيل الصحب والفضلا
ولا شغفت بذكر الله عَزَّ علا

ظلمت سنة من أحيي الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

هو الرسول كمالات الخصال حوى
والدنيا مما حوت بالزهد عنه لوى
ولا ابتغى لذة فيها ولا لَهِوى

وشد من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحاً مترف([50]) الأدم

أبى عن الدنيا لم يصبو إلى الرغب
ولا استمال إلى الأموال والرتب
أغناه رب العلا ما احتاج للطلب

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

[49] في (ع) أذخرت
[50] في (ط) (متف) وفي (ع) (مطرف) والصحيح ما أثبتناه

رسولنا المصطفى عمت رسالته
إنساً وجناً ووحي الله شرعته
وسيرة الأنبياء والرسل سيرته

وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لا تعدو عن العصم

هو الحبيب الذي غوث لكل زمن
هو الشفيع لمن في شدة ومحن
به الإله يعم العالمين منن

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

مدحي لبدر أتى من نسل فهر لؤي
متى لزورته أمشي على قدمي
وواثقاً ما سكاً في حبله بيدي

محمد سيد الكونين والثقليـ
ـن والفريقين من عرب ومن عجم

هو البشير النذير اختاره الصمد
هو الشفيع هو الهادي هو المدد
الوحش حنَّ له و الذئب والأسد

نبيُّنا الآمر الناهي فلا أحد
أبرَّ في قول لا منه ولا نعم

يا فوز من هام إنشادا مديحته
وقام ممتثلا بالشوق طاعته
هو المجاب بأمر الله دعوته

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

فمن تمسك في أذيال منصبه
وصار منسلكاً في سلك مذهبه
يحظى الفلاح ويسقى حوض مشربه

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

أخلاقه مثل موج البحر مندفق
وعلمه مزهر كالنور في الأفق
والمرسلون هم التباع في الطرق

فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

في بعثه جملة الأديان مندرس
برشده زالت الأرجاس والدنس
وفي بحار هداه الناس منغمس

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

لم يقرب الرسل مع تعظيم مجدهم
في فضل رتبته مع علو سعدهم
بل يستمدون منه في معادهم

وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

علا على الرسل طرا مع كليمهم
وفاق فخراً عليهم في([51]) مسيحهم
وجل قدراً عليهم مع خليلهم([52])

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

نور الهدى ملأ الأرجاء طلعته
عم الخلائق يوم العرض رأفته
لكونه رحمة فالله([53]) أثبته

فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

الله أهدى المحاسن من مخازنه
وحسن يوسف جزء من محاسنه
ورشد كل نبي من معادنه

[51] في (ع) (مع)
[52] في (ط) (عليهم جل قدراً مع خليلهم)
[53] في (ط) (لله)

منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

أطنب مديحك في الأوصاف والشرف
وامدح كصب([54]) كئيب تحظ بالغرف
أطرب بمدحك في الهادي ولا تقف

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

الله أكرمه عزّاً وبجّله
لقاب قوسين أدناه وجمله
وبالتجلي تجلى الذات جلّله

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

معراجه زاده فخراً وزاد نما
وصار من في السماوات العلا خدما
وفاق كل رسول رفعة وسما

لو ناسبت قدره آياته عظما
أحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم

به ظفرنا نجاحاً من تأدبه
يا سعد من يرتشف مِنْ يَمِّ مشربه
ويا شقاوة آب عن مذاهبه

[54] في (ع) (كصبيب)

لم يمتحنا بما تعي العقول به
حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

سر النبي سرى في الكون وانتشرا
وكنه معناه مما أعجز البشرا
مدَّاحه أصبحوا في مدحه حيرا

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفحم

نور يضيء كشمس الكون في الأبد
فلا يشابهه في الفضل من أحد
فليستمد منه طول الدهر بالمدد

كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم

الله عم السوى زكَّى سريرته
والخوض في لجج العرفان سيرته
والفرق والجمع والتجريد سيرته

وكيف[55] يدرك في الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلَّوا **عنه** بالحلم

هذا النبي الذي في الفضل مشتهر
قد جاء في فضله القرآن والسُّور

---

[55] في (ع) (وليس)

ماذا به يمدح المدَّاح والنُّبر

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

كم معجزات بدا ذل الأهادي بها[56]
وكل معجزة في الرسل منسبها
من الرسول إليهم فاض منبعها

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتَّصلت من نوره بهم

دوائر الرشد دارت فهو واهبها
للأنبياء وسارت في مذاهبها
أضحت بأنواره تجري مراكبها

فإنه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم

كم هام عُشَّاقه بالوجد واحترقوا
والعارفون بفضل منه تستبق
ومعدن المسك منه الطيب مندفق

أكرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم

---

[56] في (ع) (كم معجز بدى ذل الأعادي بها)

فاق النبيين في الأخلاق والشرف
وحفَّه بجزيل الفضل والتحف
والمؤمنون به يُجْزَون بالغرف

كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم

به الإله هدانا في رسالته
ونوَّر الكون عطراً من مقالته
هو الشفيع وكل في كفالته

كأنه وهو فرد في جلالته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

الله فضله بالفخر والشرف
وفي معارج قرب الحق مكتنف
في مدحه كل من قد قال ليس يفي

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
من معدني منطق منه ومبتسم

فما أجلَّه من قدر وأعظمه
في النشأتين إله العرش عظَّمه
وقبره كعبير[57] الطيب كرَّمه

[57] في (ط) (بعبير)

لاطيب يعدل تربا ضمَّ أعظُمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم (58)

لمـَّا أراد الإله بَدْأَ مظهره
بانت عجائب عظمى من مفاخره
منابع الخير فاضت من مآثره

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

من العجائب أن الفرس نارهمو
قد أُخْمِدت وصروف الدهر خانهمو
والخزي حاق بهم والذل هانهمو

يوم تفرس الفرس فيه أنهم
قد أُنْذروا بحلول البؤس والنقم

عند الولادة صار الكفر منجدع
ساسان فارس من رؤياه منجزع
وشوكة المصطفى بالعزِّ ترتفع

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

وعندما ظهر المختار ذو الشرف
نار المجوس انطفت بالذل والأسف

58 في (ع) (ومنتشم)

نهر الفرات من الأشواق ينتشف ([59])

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم

ولادة المصطفى جلت شرافتها
وعند أهل السماء فاضت بشارتها
من نورها الأرض قد لاحت نضارتها

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظم

مذ شاهدت فرق الكفار والملل
عجائب من مبادي خاتم الرسل
باتوا ذليلين في خوف وفي وجل

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم

شواهد الحق بالأنوار لامعة
أهل السماوات للمختار خاضعة
دعواه للخلق نحو الحق شائعة

والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم

---

[59] في (ع) (منتشف)

لكن كفارهم لم تؤمنن([60]) ولم
تذعن لكونهمو هم أغبياء بهم
ويل لهم من عذاب مسعر ونقم

عمُّوا وصمُّوا فإعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم

كفار مكة قد ساخت مواطنهم ([61])
والشرك والبغي والعدوان قارنهم
والله بالخزي و الخسران أوهنهم([62])

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأنَّ دينهم المعوجِّ لم يقم

في مبعث المصطفى المختار ذي الرتب
ظلت أكاسرهم في الخوف والرهب
والجن قد رُجِمَت بالنار واللهب

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب
منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنم

بمقدم المصطفى الكهان تنفحم
وحبل دينهمو بالوحي ينصرم
ولم تزل قبة الإشراك تنهدم

---

[60] في (ط) (يؤمنن)
[61] في (ط) (بواطنهم)
[62] في (ط) (واهنهم)

حتى غدا عن طريق الوحي مُنْهَزِمٌ
من الشياطين يقفو إثر مُنْهَزِمِ

وعندما أعرضوا وافوا بداهية
بالحرب و الهزم في بيداء فارهة
صاروا بحال كأمثال مشابهة

كأنهم هرباً أبطال أبرهة
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي

من معجزات رسول الله (حين)[63] (رمى
كف الحصى نال كل رجفة وعما
وجيش بدر براه الخوف فانهزما

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
نبذا المسبح من أحشاء ملتقم

ولم تزل ملة الإسلام ماهدة
وملة الكفر بالآيات خامدة
ومعجزات أتت للدين عاضدة

جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً
تمشي إليه على ساق بلا قدم

خوارق لعلوِّ المصطفى نصبت
كقصة الظبي مع أفراخها اشتهرت

---

[63] سقطت في (ع)

وقصة النخل في الأخبار قد وردت

كأنما سطرت سطراً لما كتبت
فروعها من بديع الخط في اللقم

آيات طه توالت وهي نائرة
كقصة الجمل المسروق باهرة
ورد عين قتادة وهي غائرة

مثل الغمامة أنَّى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير(64) حمي

جل الإله الذي بالوحي جمَّله
وبالهدى (ولدين) (65) الحق أرسله
وبالبراهين والقرآن كمله

أقسمت بالقمر المنشق (أن)(66) له
من قلبه نسبة مبرورة القسم

بالعز والقرب في أوج المعالي سما
من العدى صار في حرز الإله حما
وقصة الغار شيخ البوصري نظما

فالصدق في الغار والصدِّيق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم

---

64 في (ط) (بالهجير)
65 في (ع) (وله من)
66 سقطت في (ع)

الله أيده بالنصر والهمم
وبالعناية والأسرار والحكم
هو الشفيع غدا في الحشر للأمم

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي

فاق النبيين في أخلاقه وعلا
وطاب قلبي بإمداحي له وخلا
في غاره كنف الرحمن قد سدلا

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

حماه رب العلى من شر طائفة
من بأس كيد العدى حرزاً بصارفة
وردهم خيبة خوفاً براجفة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم ([67])

ما حل في أزمة ثم استجرت به
أو فاقة نزلت بي فاستغثت به

---

[67] كأن صاحب المخمسية خمس هذا البيت مرتين. إذ وردت في (ع) زيادة إضافة إلى هذه الأبيات:
الله حصنه من بأس طائفة
في الغار لاحظه من سوء خائفة
إذ قال يا صاحبي لا تخش من فئة
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

إلا وأدركني إمداد مقربه

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم

أنوار نهج الهدى ضائت بمشهده
ومورد الفضل يجري في عوائده
فلا أرى ملجأً إلا بموعده

ولا التمست غنى الدارين([68]) من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم

الله بالوحي والإلهام كلَّمه([69])
وفي مراقي تجلي الذات جمَّله
وفي مقام شهود والوصل دلَّلَهُ

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
قلبا إذا نامت العينان لم ينم

الله أهدى له من قبل نبأته
مبشرات بها نص لرتبته
مقدمات توالت عند (نوبته)([70])

وذاك حين بلوغ من نُبُوَّته
فليس ينكر فيه حال محتلم

---

[68] ورد في (ع) (الدار) مفردا وهو خطأ
[69] في (ط) (كمَّله)
[70] في (ع) (مبعثه)

هو الذي فاز بالأنباء والرتب
وفاق فخراً على الكونين بالنسب
واختاره الله في الدارين خير نبي

تبارك الله ما وحي([71]) بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتهم

كم كربة نفَّست للمرء دعوته
وزوَّلت شقوة غماء لفتته
وطالما برت([72]) الأسقام تفلته

كم أبرأت وصباً باللمس راحته
وأطلقت أربا من ربقة اللمم

عمت عوالم من في الأرض رأفته
وعند أهل السما جلَّت سيادته ([73])
والله حببه أعطى إجابته

وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

بجاهه بركات الله جاد بها
على الخلائق وانصبت سحائبها
وأخصب العيش لما أن دعاه([74]) بها

[71] في (ط) (أوحى)
[72] في (ع) (برزت)
[73] في (ط) (سيَّارته)
[74] في (ط) (لما أن دعي) وفي (ع) (لما دعاه) والوزن لا يستقيم إلا بما أثبتناه

بعارض جاد أو خِلت البطاح بها
سيبٌ [75] من اليم أو سيلٌ[76] من العرم

أعلام مدح الورى في وصفه انتشرت
وزمرة الأنبيا في جاهه افتخرت
وأهل كل السما من نوره انفطرت

دعني ووصفي آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلاً على علم

فكل صب به في الحشر يُحْتَرمُ
ومادح مغرم بالمدح يُحتَشمُ
هو الهيولى وأصل الخلق والقَرَمُ[77]

فالدار يزداد حسناً وهو منتظم
وليس ينقص قدرا غير منتظم

قد أنزل الله بالوحي الثناء على
حبيبه وبه القرآن قد نزلا
فكيف تحصى الثناء في مدحه النبلا

فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

بانت له معجزات الحق مزهرة
آياته أنزلت للدين مظهرة

---

75 في كلا النسختين (سيبا) والصحيح ما أثبتناه
76 في كلا النسختين (سيلا) والصحيح ما أثبتناه
77 في (ط) (والقدم)

بالأمر والنهي والإبعاد منذرة

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

جاءت مباركة تهدي وتنذرنا
عن كل ما ليس يرضي الله تزجرنا
وحكمها ثابت فينا يذكِّرنا

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم

فاقت على كل آيات منزَّلة
مخلد حكمها في كل أزمنة
أنوارها دائم الإشراق مبرزة

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت[78] ولم تدم

قرآنه الحق دين الحق قام به
آياته ثابتات غير مشتبه
وناسخ كل دين قبل منصبه

محكَّمات فما يبقين من شبه
لذي شقاق ولا يبغين من حكم

---

[78] في (ط) جائت

معارضوها غدوا في الذُّل والرهب
لم يقتدر يتحدى أفصح العرب
أن يأتي كالفيل أو حمالة الحطب

ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

منابع العلم تجري (في) ([79]) غوامضها
يافوز تال لها أدى فرائضها
ويل لمنكرها سحقاً لرافضها

ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم

لها فضائل لا يحصيها من أحد
هي الصراط وحبل الله ذو الرشد
فمن تمسك فيها فاز بالمدد

لها معان كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم([80])

تاهت عقول العوالم في غرائبها
فمن تلاها له تدنو مواهبها
بها النجاة سلوكا في مراكبها

---

[79] في (ع) (من)
[80] في كلا النسختين (والشيم) والصحيح ما أثبتناه

فما تعد[81] ولا تحصى[82] عجائبها
ولا تسام على الإكثار بالسأم

الله حبب قاريها وجمَّله
وبالهداية والإرشاد كمَّله
والفوز بالعفو والرضوان جلَّله

قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

يا فوز قار لآيات بها اتعظا
ومن لوعد وإيعاد[83] لها لحظا
فذاك صين عن[84] الأهوال وانحفظا

إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشبم[85]

يعطي لقاريها نور يستضاء به
في القبر والحشر قد جاء الحديث به
وهو الشفيع غدا للعالمين به

كأنها الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم

[81] في كلا النسختين (فلا) والصحيح ما أثبتناه وفي (ع) (تعدوا)
[82] في (ع) (يحصى)
[83] في (ع) (وإبعاد)
[84] في (ع) (من)
[85] في (ط) (شيم)

كانت مجمعة الأحكام مرسلة
للإنس والجنِّ عمتهم مفصلة
من عند رب السماء جائت منزلة

وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

قد اهتدى (من باتقان)[86] يوقِّرِها
وضل مستكبر عنها يحقِّرِها
فيا شقاوة من بغيا يناظرها

لا تعجبن لحسود جاء ينكرها
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

من شدة الكفر والطغيان والعند
لم يذعنوا لكلام الواحد الصمد
فخالفوه وما([87]) مالو إلى الرشد

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

يامن يروم الورى منه شفاعته
ومن به (يمنح العاني)[88] إجابته
ومن يفيض على الجاني[89] سماحته

---

[86] في (ط) (باتقان من)
[87] سقطت (ما) في (ع)
[88] في (ط) (يمنع العافي)
[89] في (ط) العالي

يا خير من يمم العافون ساحته
سعياً وفوق متون الأينق الرسم

هو النبي الذي قد جاء بالنذر
بالأمر والنهي والإيعاد([90]) والحذر
والسيف والحرب والغزوات والسير

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

علوت في درجات العز والكرم
وفقت كل رسول من ذوي الهمم
وجزت في حجبات([91]) النور والظلم

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم

قامت لتعظيمك الأملاك عاجلة
لنيل طلعتك الزهراء مقبلة
تسعى تزورك بالأشواق مائلة

وبتَّ ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

أهل السماوات ضجت إذا مررت بها
لسدرة المنتهى حقاً أقمت بها

---

[90] في (ع) (الإبعاد)
[91] في (ط) (جخيات)

في حضرة الصفوة العليا أُصطفيت بها

وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

سروا بك الأنبياء مع مراتبهم
وعظموك احتراماً مع مناصبهم
وصرت فيهم إماما مع تقربهم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب[92] كنت فيه صاحب العلم

رقاه أعلى العلا عن كل مستبق
وصار يخترق الأحجاب في الغسق[93]
حتى انتهى لمقام جلَّ عن رفق

حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم

رقيت أعلا مقام من رقاه جذذ
أعلام عزك في أعلا السماء ركز
ناجاك من أمره في العالمين نفذ

خفضت كل مقام بالإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

---

92 في (ط) (مركب)
93 في (ط) (الأفق)

له تجلي بعين الذات والنظر
فشاهد الحق بالأحداق والبصر
كما روى مسلم عن سيد البشر

كيما تفوز بوصل أي مستتر
عن العيون وسر أي مكتتم

جاوزت أعلا مقام غير منسلك
في ذروة العز تعلو قبة الفلك
آنست في حضرة جلت عن الملك

فحزت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم

أكرمت بالحوض والإجلال والرتب
وصرت أفخر من في الأرض بالحسب
فما يساويك في قرب ذوو نسب([94])

وجل مقدار ما وليت من رتب
وعز إدراك ما أوليت من نعم

الله بالمصطفى المبعوث كملنا
وبالهدى وبدين الحق خولنا
وبالشفاعة يوم العرض أسبلنا

[94] في (ع) (ذو قرب وذو نسب)

بشرى لنا معشر الإسلام إنَّ لنا
من العناية ركنا غير منهدم

حمدا لمن أرسل الداعي لأمته
للإنس والجن من إسباغ نعمته
طوبى لمتبع الهادي ودعوته

لما دعا الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

الله خوف أعداه بسطوته
ومزق الكفر من إجلال هيبته
وبدد الشرك في توحيد كلمته

راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

قد صار يغزو بإذن الواحد الملك
في المشركين وأهواهم إلى الدرك
دماؤهم صار في الغبراء منسفك

ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

وجدَّ في حربهم بالطعن والوله
أذاقهم من كؤوس الخوف والعمه
فما بقى من ملاذ يلتجون به

ودُّوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

غارات أحمد في الكفار رعبتها
هدَّت فرائصها([95]) من هول شدَّتها
فلا قرار لهم من خوف سطوتها

تمضي الليالي ولا يدرون عدَّتها
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

سيف الصحابة فيهم باد راحتهم
من شدة الطعن قد بانت نياحتهم
في الخوف باتوا لياليهم وغدوتهم

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرمٍ إلى لحم العدا قرم([96])

كم غارة لرسول الله رابحة
وصولة في علوج الكفر طارحة
ورمية بنبال الموت واضحة

يجر بحر خميس فوق سابحة
يرمي بموج من الأبطال ملتطم

أصحاب فخر الورى ذو البأس والغضب
على الأعادي كشبه النار في الحطب

---

[95] في (ع) (فرائضها)
[96] وردت في (ع) بعد هذا الشطر أبيات ليس موضعها هنا وتكررت بعد سبعة أبيات من البردة في موضعها وهي:
شاكي السلاح لهم سيما تميزهم

وقصدهم نصرة المختار ذي الحسب

من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

فازوا بقمع العدا أعلا مطالبهم
ونصرة الدين من أعلا مراتبهم
وآثروه ابتغاء في تقرُّبهم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم

وأصبحت ملة الإسلام في رغب
صينت عن[97] النسخ والتبديل والخبب
ولم تزل في حضان[98] العز والرحب

مكفولة أبدا منهم بخير أب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

ما أعظم الصحب إذ شدُّو محازمهم[99]
وشمروا للعدا حرباً مساعدهم
قدُّوا قوائمهم هدُّوا دعائمهم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأوا منهم في كل مصطدم

---

97 في (ط) (صين من)
98 في (ط) (حصان)
99 في (ط) (محاربهم)

الله مدَّ لأصحاب النبي مددا
جهادهم في حصار المشركين بدا
سيوفهم صيَّرت أعناقهم جددا

وسل حُنيناً وسل بدراً وسل أحدا
فصول حتف لهم أهدى من الوخم

أهل الهدى أثخنو الكفار فانخلعت
رقابهم بسيوف النصر وانجلدت
في لهيب لظى أجسادهم[100] وقدت

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدى كل مسود من اللمم

أصحاب نور الهدى في الحرب قد فتكت[101]
في المشركين وللأطفال قد عركت
أجسامهم فصلت والدم قد سفكت

والكاتبين بسمر الخط ما تركت
أقلامهم حرف جيم غير منعجم

الله بالدين والإيمان عززهم
لقمع أبطال أهل الشرك أبرزهم
من أجل ذا بمقام العز ميزهم

---

100 في (ع) (أجسامهم)_
101 في (ط) (فكرت)

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم
والورد يمتاز بالسيما من السلم

نعم الحصون رضاء الله أجرهم
جنات عدن وولدان وحورهم
نالوا الترقي وعند الله قدرهم

تهدي إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

قاموا بحرب العدى أصحابه عجبا
غاروا بحملاتهم في سطوة غضبا
فبدَّدوا قرماً أبدانهم إربا

كأنهم في ظهور الخيل نبت[102]ربا
من شدَّة الحَزْم لا من شدَّة الحُزُم

لذاك شمل العدى قد صار مفترقا
من خوفهم أضحت الأكباد منخرقا
وبان دين الهدى في الكون مُتَّسِقا

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا
فما تفرق بين البَهْم والبُهُم

فمن يكن ساكبا لله عبرته
وفي هوى خير خلق الله سيرته

---

[102] في (ط) (بنت)

فيا سعادته بيضاء غرته

ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في أجامها تجم

كم فاز من لاذ بالمختار من ظفر
وكم من محبٍّ له قد نال من وطر
وكل شأن له يدلى إلى سقر

ولن ترى من ولي غير منتصر
به ولا من عدو غير منقصم

حمداً لمن قد هدانا سلك ملته
وصار نخبتنا من نسل عترته
ونرتجيه حلولا في شفاعته

أحلَّ أمته في حرز ملته
كالليث حل مع الأشبال في أجم

تبا لمن أنكر الآيات ذو الخبل
سحقاً لهم في لظى والسعي من مهل
كعابدي اللات والعزى وكالهبل

كم جدلت كلمات الله من جدل
فيه وكم خصم البرهان من خصم

خص الإله النبي الأمي منزلة
وامتازه بعلوم منه مبرزة

كل العلوم قد جاءت منزلة

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب واليتم

مالي ملاذ لحالي أستعين به
سوى ولائي لمن قام الوجود به
لذا لهجت بمدحي أستعين به[103]

خدمته بمديح أستقيل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

القلب للهو صابيه وراغبه
وما به العِزُّ في الدنيا يراقبه
أرجو من الله ألطافا تسابقه

إذ قلداني ما تخشى عواقبه
كأنني بهما هدى من النعم

قد كان مني أمور توجب الندما
فيما سوى الله مشغول به قدما
والوقت فات وصار العمر منعدما

أطعت غي الصبا في الحالتين وما
حصلت إلا على الآثام والندم

---

[103] في (ع) (بمدحي فيه ولَهي)

تباً لنفس أقامت في إسائتها
وأسرفت وتمادت في شقاوتها
ولم تفيء تتحاشى من جنايتها

فيا خسارة نفس في تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

يا بئس دار الفنا تبا لنائله
إن لم يكن يتزود من حواصله([104])
ونعم دار البقا طوبى لعامله

ومن يبع آجلا منه بعاجله([105])
يبن له الغبن في بيع وفي سلم

يارب صرت من الآثام ذا مرض
فثوب عفوك أغلى المال والعرض
ونجدة المصطفى لي أعظم الغرض

إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض
من النبي ولا حبلي بمنصرم

وفي ولائي لخير الخلق ذي الرشد
قد استجرت ومدحي فيه معتمدي
كذا صلاتي عليه فيها معتمدي

[104] في (ع) (خواصله)
[105] في (ع) (لعاجله)

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

لي بالنبي رجاء يوم مسألتي
مالي ملاذ سواه في مساعدتي
وأستغيث به لدى محاسبتي

فإن لي ذمة منه بتسميتي
محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

هو الهيولى وأصل الكون قائمه
وصفوة المتعالي([106]) من يقاومه
من النبيين ما منهم يزاحمه

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

ومذ فهمت فأبكتني مدائحه
متيماً مغرماً أتلو مدائحه
وأرتجي منه يمنحني موانحه

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه
وجدته لخلاصي خير ملتزم

شفاعة المصطفى في الحشر قد نشرت
في الإنس والجن أخبار بها وردت

[106] في (ط) (المتعالين)

وكفه كغمام بالندى سحبت([107])

ولن يفوت الغنى منه يداً تربت
إن الحياء ينبت الأزهار في الأكم

روحي لحضرته الفيحاء قد شغفت
ذاتي ونفسي بها في الحب قد كلفت
إلى سواها مدى الأزمان ما عطفت

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت
يدا زهير بما أثنى على هرم

أهيم شوقاً ووجدا في مناقبه
وأرتجي نفحات من مواهبه
وأستغيث لدهري من مناصبه

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

تصرم العمر في لهو وفي لعب
وما ادخرت لزادي يوم منقلبي
لكنَّ لي صلة أرجوها في العقب

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تجلى باسم منتقم

---

[107] في (ط) (سبحت)

يا نعم نفساً على الآثام قد ندمت
ومن مباشرة الإجرام قد عصمت
لاشك من رحمة الرحمن ما انحرمت

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللمم

يا من به نالت الأفلاك دورتها
ومن به فازت الأملاك رفعتها
أضوائها منه أبدى الله بهجتها

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

يارب حسن شؤوني أنت تعلمها
واسبل على نفسي ألطفا تلازمها
ومن عظائم يوم العرض تعصمها

لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

يارب أرجو ختامي آخر النفس
على الثبات بإيمان بلا خرس
ومبتغي أملي لطفاً بلا بؤس

يا رب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم

يرجو عبيدك عفوا منك تجمله
عطفا ولطفا وإحساناً ([108]) تعامله
فقد أتى سالفا ما لا يباح له

والطف بعبدك في الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

زد جاه خير الورى عزا ومكرمة
ورفعه في مقام العزِّ قائمة
وامنحه أوفى صلاة منك ساجمة

وأذنْ لسحب([109])صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم

وآله صفوة المختار خصَّ لهم
شرافة بين خلق الله فضَّلهم
وصحبه من جناب الحقِّ عظَّمهم

والآل والصحب ثم التابعين لهم
أهل التقى والنقى والحلم([110]) والكرم

وزد وضاعف تحياتي على النخبا
من آل بيت النبي وارفع لهم رتبا
وأعل شأنهم في صفوة النجبا

---

[108] في (ط) (وإحسانك)
[109] في(ع) وفي(ط) وأذن لصحب، والصحيح كما أثبتناه .
[110] في (ط) (العلم)

ما رنحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

واغفر لمن قام بالتخميس وشَّحه
وهذَّب المدح بالأشواق والنهم
عشقاً لحضرة خير الخلق شافعنا
عسى يكون من الأتباع والخدم

هو المسمى بإبراهيم ذي الخطأ
الحامدي العلوي المنسوب من قدم

مالي سوى نسبي من آل عترته
أرجو بها الغوث يوم الهول والعصم
يارب إن لم أفز منهم بعاطفة
وعين لحظ فقد أفضيت للعدم
فاقبل ولائيَ فيهم لا تخيِّبني
عسى بهم أنتظم[111] في سلك حزبهم
والحمد لله حمدا دائما أبدا
على اختتامي لتخميس ومنتظم

تمت كتابة هذا التخميس بعون الله وفضله.[112]

[111] في (ع) (عسى أن أنتسب)
[112] في (ع) تمت بتوفيقه سبحانه وتعالى

ب- مخمسية الشيخ عبد الحليم

كَيْفَ التّصَبّرُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ أَلَمٍ
فِي مَدْحِ مَنْ حُبهُ فِيْ اَلْقَلْبِ كَالعلَمِ
فَقُلْتُ لَمّا جَرَى دَمْعِي مِزَاجِ دَمِ

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

يَا صَاحِ هَلْ مِنْ رِيَاح مِنْكَ نَاسِمَة
أَوْمِنْ نَسِيْمِ صَبا سَحراً مُلاَزمة
أَقُوْلُ فِيْ اَلْوَجْدِ تَخْميساً بِنَاظِمِة

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم

فَمَا لِجَفْنِكَ لَمْ يَرقد إلى وَمتَى
وَمَا لِسَهركَ فِيْ اَلدّيجور قد ثبتا
وَمَا لِعَيْنيِكَ لِلْهَيْماءِ مُلتَفِتا

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنّ الحُبَّ يَنْكَتِمُ
وَنَارُ قَلْبِيْ منَ اَلْأَحْشَاءِ تَنْهَزِمُ
لَمَاَ بَكَيْتُ دَمَاً وَالدَّمْعُ مُنْسَجِمُ

أيحسب الصبَّ أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم

يَا عَاذِلِيْ فِيْ اَلْهَوَى قَدْ طُلْتَ فِيْ عَذَلِي
فَارْفِقْ بِعَذْلِيْ وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى خَلَلِ
وَقُلْ كَئِيبَاً جَفَاهُ أَعْيُنُ الْمُقَلِ

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم

لَا تُنْكِرِ الْحُبَّ إنّ الْعَيْنَ قَدْ شَهِدَتْ
عَلَيْكَ والسُّقْمُ أيضاً فيكَ قَدْ ظَهَرَتْ
أَيَخْتفِيْ حَالُ مَنْ اَجْفَانُهُ سَهُدَتْ

فكيف تنكر حبّاً بعدما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم

الوْجدُ بَاقٍ وَلكَن فِيْ اَلْمَلا كَمَنَا
وَنَارُ قَلْبِيْ بزَفْرَاتٍ لَهَا عَلَنا
ظُهُورُهُ قَدْ بَدَا بِالْحُبِّ مُفْتَتِناً

وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى
مثل البهار على خديك والعنم

آهٍ لِنَارِ لَهِيْبِ الشّوْقِ أَزْعَجَنِيْ
وَهَمْعُ دَمْعِيْ بَعَيْنِي الْيَوْمَ أَغْرَقَنِيْ
فقلت لمَّا سرى الحادي وأطرقني

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألم

كَمْ أَنْفُسٍ بِهَوَاهُ صَاح مُقْبِرَةً
وَكَمْ نُفُوسٌ بَدَتْ بَاللّومِ معْذِرَةٌ

فَلاَ تَلُمْنِيْ فَلَيْسَ اللّوْمُ مُجْبِرَةً

يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم

دَعَاكَ حَالِيْ إِلَى مَا كَانَ مُسْتَتِرِ
عَنْ العُيُونِ وَصَارَ اليَومُ مُنْتَشِر
فَقُلْتُ لَمّا هَوَى قَلْبِيْ لِمُخَتبِرِ

عدتك حالي لاَ سرِّى بمستتر
عن الوُشاة ولا دائي بمنحسم

وَخَالِصَ النّصْحِ قَدْ أَرْسَلْتَ مَسْمَعُهُ
إَلَيّ لَكِنَّ نَفْسِيْ لَيْسَ تَسْمَعُهُ
فَكَمْ أجُرُّ زَمَاناً وَهيَ تَقْطَعُهُ

محضتني النصح لكن لست أسمعه
إن المحب عن العذَّال في صمم

جَاءَ المشيْبُ وَلَمْ تَنْهَضْ إِلَى عَمَلِ
وَمَا رَأَيْتُ لها شَيْئاً سِوَى الزَّلَلِ
كَيْفَ الخَلَاصُ وَمَا لِيْ منهَا مِنْ أَمَلِ

إني اتَّهمت نصيح الشيب في عذَلي
والشيب أبعد في نصحٍ عن التُّهم

نَفْسِيْ لِسُوْءِ سَبِيْلِ الغَيّ قَدْ غَلُظَتْ
وَما انتهتْ عن فِعالِ الشَرّ إذ وُعِظتْ
وَجَاءَ شَيْبِي برأسي وَهْيَ مَا حَفِظَتْ

فإن اماراتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب و الهرم

كَيْفَ الخَلَاصُ إِذَا مَا رَامتْ الشَرراً
كَأَنّهَا فِي جِمَالَاتٍ لَهَا صُفُرَا
فَأَعْطَت اَلْحِسّ بِالْبَاقِيْ فَبِئْسَ شرَا

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسي غير محتشم

لَم أَرعَوي حُرْمَةً لِلْشَيْبِ تُوقِرُهُ
وَلَا رَأَيْتُ سَبِيْلاً كَيْ أحَذِّرَهُ
فَقُلْتُ لَمّا رَأَيْتُ مَا أُخَبِّرُهُ

لو كنت أعلم أني ما أوقره
كتمت سراً بدا لي منه بالكتم

مَنْ لِيْ بِرَدِّ هَواهَا مِنْ جِماحَتِهَا
وَمَنْ يَرُدْهَا بِزَجْرٍ مِنْ غَوايَتِها
لأَنّهَا اَوْقَعَتْنِيْ فِيْ هَلاَكَتِهَا

من لي برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم

اخْفِضْ جَنَاحَكَ تَنْجُ مِنْ قَسَاوَتِهَا
أَقْلِلْ طَعَامَكَ كَيْ تَحْظَى بِذِلَّتِهَا
وَلَا تُبَادِرْ لها بَلْ دَعْ لِدَعْوَتِهَا

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها
إن الطعام يقوي شهوة النهم

رُقِّيْتَ فِيْ ذِرْوَةٍ عَلْيَاءَ فَاضِلَةٍ
فِيْ مَوْكِبِ اَلْعِزّ وَالاقْبَالِ مُوْصِلَةٍ
يَا نِعْمَ رُقْيٍ لَهَا لِلْحَقّ موصلة

وبت ترقى إلى أن نلت منزلةً
من قاب قوسين لَم تدرك وَلَم ترم

لَقَدْ سَرَيْتَ كَسَيرِ الشَّمْسِ مَغْرِبَهَا
وَالْأَنْبيَاءُ جَمِيعاً واقِفونَ بِهَا
كَذاكَ والْمَلَأُ الْأَعْلَى يَحُفُّ بِهَا

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

هَذَاْ لأَمْرٌ عَجِيْبٌ مَا سِوَاهُ نُظِم
فِي حَضْرَةِ اَلْعَرْشِ مَا أحَلَاهُ حِيْنَ قَدِمْ
وَخَصّهُ بِصَلَاةِ اَلْخَمْسِ ذاكَ عُلِمْ

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

لَقَدْ رَأَيْتَ جَمَالَ اللهِ فِي اَلْأُفُقِ
رُقِّيْتَ حَقّاً طَرِيْقاً أَشْرَفَ اَلْطرُقِ
وَنِلْتَ مَا نِلْتَ مِنْ خَلْقٍ وَمَنْ خُلُقِ

حَتىَّ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ
مِن الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ

أَنَا اَلْقَتِيْلُ بِنَفْسٍ صَاح ظَالِمَةٌ
لِأَنّهَا فِيْ طَرِيْقِ اَلْغَيّ قَائِمَةٌ

وَعَنْ طَرِيْقِ اَلْهُدَى يَا صَاحِ عامِيةٌ

وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَة
وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ

قَدْ أَسَلَكَتْ سُبُلاً لِلْغَيّ قَاتِلَةً
وعن سبيلِ الهُدىَ يا صاحِ مائلةً
وَلَمْ تَزَلْ عَنْ طَرِيْقِ اَلْرُشْدِ عَادِلَةٌ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

فَاكْسِرْ هَوَاهَا بِجُوعٍ لاَ بِمُتَّبَعٍ
هَوَائُهَا لَا تَكُنْ هَذَا بِمُبْتَدِعٍ
فَكَمْ ذَليلٍ هَواهَا صَارَ مُرْتَفِعٍ

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَع
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

وأَكْثِرِ الدّمْعَ مِنْ عَيْنَيْكَ إِنْ بَكِيَتْ
عَلَى الذُنُوْبِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ كَسُلَتْ
وَاسْأَلْ إِلَهَكَ عَفْواً عَامّةً شَمَلَتْ

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

وَجَاهِدِ النّفْسَ كَيْ تَحْظَى بِهَا عِظَمَاً
وَالَزمْ حَمِيّتَهَا بِالْعِلْمِ وَالْعُلَمَا
وَاعْمَلْ بِأَمَرِ إِلَهِ قَالَهُ قِدَمَا

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

اِحْذَرْ لنَفْس وَشَيْطَانٍ قَد اِلْتَئَمَا
عَلَى خَرَابٍ لِقَلْبٍ مِنْكَ قَدْ وَسَمَا
بِاللهِ اِحْذَرْهَما كَيْ لَا تَجِدْ أَلَمَاً

وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصمًا وَلاَ حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ

أَرْجُو إِلَه بِعَفْوٍ مِنْه يَغْفِرُ لِيْ
مَا قَدْ جَنَيْتُ مِنَ اَلْأَوْزَارِ وَالزَّلَلِ
أَقُوْلُ قَوْلَاً بِقَلبٍ خَالِصٍ اَلْعَمَلِ

اسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

(لَمّا بَدَيت أُرَاعِي اَلنَّظْمَ فِيْ خَلَلِ
وَبِتُ مِنْ كَثْرَةِ اَلْأَوْزارِ في أَمَلِ
فَقُلْتُ قَوْلاً بِلَا خِلِّ وَلَا زلَلِ

اسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ) ([113])

نَفْسِيْ اَلْخَبِيْثَةُ مَا أَصْغَتْ لِمُنْتَبَه
كَمْ قَدْ وُعِظْتُ وَلَمْ تَرْعَ لِمَطْلَبِهِ
وَكُلّمَا أَزْجرْهَا مَا تَقُوْلُ بِهِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

---

[113] يظهر أن صاحب المخمسية كرر تخميس البيت

(وَكَمْ أَمَرْتُ بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَعْتُ بِهِ
فَلَا بِوَعْظٍ وَنُصْحٍ صِرْتُ مُنْتَبِه
وَكَمْ جَهِدْتُ وَلَمْ تخش لِسَطْوَتِهِ)

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ) ([114])

آهٍ لِنَفْسيَ مَا قَدّمْتُ عَامِلَةً
لِيَوْمِ اِحْضَار قَبْلَ اَلْمَوْتِ آمِلَةً
وَلَا اَدّخَرْتُ مِنَ اَلتَّقْوَى مُكَامِلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(وَا حسرتا مَا عَمِلَت اَلْيَوْمَ عامِلَةً
وَمَا جَمَعَتُ مِن اَلْأَوْزَارِ حَامِلَةً
كَيْفَ اَلْخَلَاصُ إِذَا مَا صِرْتُ مُحْمَلَةً

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نَافِلَةً
وِلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ) ([115])

خَطّ اَلْمَشِيْبُ بِرَأْسِيْ خطة وَعَلَا
عَلَى اَلْسَوَادِ وَمَا حَصّلْتُ لي عَمَلاً
فَجِئْتُ بِالْفقر وَاَلْإِذْلَاْلِ مُنجَدِلَا

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظّلاَمَ إِلىَ
أَنْ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

---

[114] يظهر أن صاحب المخمسية كرر تخميس البيت

[115] يظهر أن صاحب المخمسية كرر تخميس البيت

وَنُوْرُهُ فَوْقَ كُلِّ اَلْعَالَمِيْنَ ضَوَى
وَحُبّهُ فِي اَلْقُلُوْبِ تدمَلَى وَكَوَى
كَانَتْ رِيَاضَةً بِالْجُوْعِ عَنْهُ رَوَى

وشد من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحاً مترَف الأدم

مَوْلَاهُ أَوْلَا جمَال العز وَالْرُتَبِ
وَاخْتَارَهُ مِنْ قُرَيْشٍ أَشْرَفِ اَلْعَرَبِ
وَمَا أَمَالَ إلي دُنْيَا وَلَا رَغَبِ

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

اَللهُ جَمّلَهُ حُسْنَاً وُصُوْرَتُهُ
مِنْ حُسْنِ يُوْسُفَ اَبْهَا بَهَائَتُهُ
وَلَنْ يَرَى اَحَداً فِي اَلْنَاسِ بَهْجَتهُ

وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لا تعدو عن العصم

لَا تُبْعِد الْحُبَّ عَنْ قَلْبِيْ بِقَوْلِكَ لَنْ
فَلَيْسَ أَرْجُو من اَلْأَقْوَالِ غَيْرَ حَسَنْ
لِأَنّهُ صَارَ حُبِّيْ مَنْزِلٌ وَوَطَنْ

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

فَرْضٌ عَلَى النّاسِ حُبُّ المصْطَفَى وَعَلَي
لَعَلّهُ فِيْ مَعَادِيْ آخِذ بِيَدي

اَلْمُجْتَبَى مِنْ بَنِيْ عَدْنَانَ ثُمّ لُؤَيْ

محمد سيد الكونين والثقليـ
ـن والفريقين من عرب ومن عجم

هَذَا اَلْذِيْ أَمْرُه بِاللهِ مُعْتَمِدٌ
اَمَّا اَلذِي نَالَهُ مَا نَالَهُ أَحَدٌ
اجْعَلْ عَلَى حَوْضِهِ يَا رَبّنَا نَرِدُ

نبيُّنا الآمر الناهي فلا أحد
أبرّ في قول لا منه ولا نعم

هَذَا الْحَبِيْبُ الْذِيْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
هَذَا الْرَسُوْلُ الَّذِيْ عَمَّتْ نُبُوَّتُهُ
هَذَا الْكَرِيْمُ الَّذِي اَرْجُوْ زِيَارَتُهُ

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

هَذَا الَّذِي رَامَ قَلْبِيْ فِيْ تَحَبّبُهِ
وَلَمْ اَزَلْ فِيْ حِجَابٍ منْ تَطَلُّبِهِ
يَارَبِ وَفِّقْ وَيَسِّرْ لِيْ بِمَقْرَبِهِ

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

أَنْزَل إِلَهِي عَلَيْهِ سُوْرَةَ الْعَلَقِ
كَذَاكَ تَبَّتْ مَعَ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ

وَنَجْمُهُ قَدْ عَلَا فِي سَائِرِ الْأُفُقِ

فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

اَلْأَنْبِيَاءِ جَمِيْعَاً نُوْرَهُ الْتَمَسُوا
وَالرُّسْلُ كُلُّهُمُ مِنْ عِلْمِهِ اقْتَبَسُوا
شَفَاعَةُ الْمُصْطَفَى فِيْ الْحَشْرِ نَلْتَمِسُ

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

قَصدي إلهي يَنَلني شُربَ وِردهم
لِأَنَّهُمْ بَذَلُوا مَالاً لِحُبِّهِم
كَذَاكَ مُهْجَةُ أَرْوَاحٍ لِعشقهم

وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

هَذَا الْذِي مُكَرَمُ الْأَخْلَاقِ سِيرَتُهُ
لا شَكَّ فِي الطُّهْر قَدْ كَانَتْ سُلالَتُهُ
عَسىَ لأَحْظى بِضمٍّ صاحَ تربتهُ

فهو الذي تمَّ معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

كَلَّتْ لِسَانُ الوَرَى عَنْ فَضْلِ مَعْدَنِهِ
كَذَاكَ وَالشُّعْرا عَنْ وَصْفِ مَحْسَنِهِ

فَإِنْ تُرِدْ فَائِقاً فِي فَصحِ أَلْسُنِهِ

منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

أُتْرُكْ حِكَايةَ مَا قَالُوا بأَسْرِهِمِ
لِأَنّهُ فِي ضَلَالِ قول إِفْكِهِمِ
إِنَّ النَّصَارَى حَيَارَى فِيْ عتيِّهِمِ

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فَامْدَحْ مَدَائِحَ لَا تَنْفَكُّ عَنْ شَرَفِ
فِيْ وَصْفِ مَنْ ذكره فِي النّاسِ غَيْرَ خَفي
وَكُلّما مَدَحَ الْمُدَّاح غَيْرَ كَفي

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فَفَضْلُهُ لَيْسَ مَخْفِيّاً وَلَيْسَ لَهُ
حَدٌّ ولا غَايَةٌ فَاعْلَمْ تَبَجُّلَهُ
لَأنَّ رَبَّ السَّمَا بِالعِلْمِ كَمَّلَهُ

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

أحيي النَّبي أَبَوَيْهِ دَارِساً رَحْمَا
فَآمَنَا ثَمَّ عادا عِزَّةً كَرَمَا

آيَاتُهُ لَا يَفيهَا الحِبْرُ وَالْقَلَما

لو ناسبت قدره آياته عظما
أحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم

قَدْ جَاءنَا بِكِتَابٍ غَيْرَ مُشْتَبَهٍ
نُلَازِمُ الْحَمْدَ وَالْشُكْرَ العَظِيمَ بِهِ
إِنّ الْسَعَادَةَ فِي إِدخَالِ مَذْهَبِهِ

لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

فَكُلّمَا قُلْتُ قَوْلاً أَوْ أَقَوْلُ جَرَى
لَا ينْطَفي نَارُ قَلْبِي حَرُّهَا نَظَرَا
فَإِنْ تُرِدْ فَهْمَهُ الْسَامِيّ مُخْتَصرَا

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفحم

لَا شَكّ فِيْ قُرْبِهِ بِالْوَاحِدِ الصَّمَد
وَفَضْلُهُ لَيْسَ مَخْفِيّاً عَلَى أَحَد
فَإِنْ تَرَى نُوْرَهُ بِالْعِشْقِ وَالْمَدَد

كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم

صَفْحٌ جَمِيْلٌ وَعَفْوٌ كَانَ سِيْرَتُهُ
وَالْأَمْرُ وَالنُّهْيُ كَانَا صَاح شِرْعَتُهُ

فَكَمْ نَقُوْلُ وَلَمْ نُحْصي مَقَالَتَهُ

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلَّوا عنه بالحلم

كَمْ ذَا أَقَوْلُ وَلَم أَقْضي بِهِ وَطَر
فِيْ مَدْحِ مَنْ عِلْمُهُ فِي الْأَرْضِ مُنْتَشِر
لِأَنَّهُ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ بَشَر

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

فَكُلَّمَا جَاءَتِ الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا
مِنْ آيَةٍ أَوْ عَلَامَات نَطَقْنَ بِهَا
فَأِنَّمَا نُورُهُ قَدْ فَاقَ مَشْرِقُهَا

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتَّصلت من نوره بهم

هو الْفَرِيْد على الْأَقْرَانِ أَطْنبها
هُوَ الْوَحِيْد عَلى الْأَمْثَالِ أجْمَعُهَا
فَلَيْسَ يُحْصى لِحَصرِ الكَمِّ غَايَتها

فإنه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم

والله لَيْسَ لَهُ فِي الْخَلْقِ مُسْتَبِقٌ
نُوْرُ النّبُوّةِ فِيْ كتفيه مُلْتَصِقٌ

وَمن ثَنَا نُوْرِهِ الْأَرَضيْن مُنشرِقُ

أكرم بخلق نبيّ زانه خلـــقٌ
بالحسن مشتمل بالبشر متســم

كَالْشّمْسِ يَظْهَرُ في عِزٍّ وَفِي شَرَف
طُوْبَى لِمُسْتَنْشِق مِنْه ومُغْتَرِفِ
فَنُورُهُ غَيْرَ مُحصيّ وَلَسَت أفي

كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم

لِسَانُ صِدْقٍ وَقَوْل فِيْ عَدَالَتِهِ
مُجلّلٌ فِي جِمَال مِنْ كَمَالَتِهِ
مُبَرّءٌ عنْ شَرِيْكٍ فِيْ مَقَالَتِهِ

كأنه وهو فرد في جلالته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

تَرَى ثَنَاهُ بِنُورٍ مِنْهُ لَيْسَ خَفِ
حِيْنَ الْتّكَلُم بِالأَلْفَاظ فِي الْغُرَفِ
لاَ سِيّمَا نُطْقُهُ بِالضَادِ غَيْرُ خَفِ

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
من معدني منطق منه ومبتسم

مِنْ خيمَةِ الْنُوْرِ رَبُ العَرشِ خَيَّمَهُ
وَخِلْعَةُ الْنُوْر رَبُّ الْعَرْشِ أَكْرَمَهُ

آَهاً لِلَثْمِي تُرَاباً ضَمَّ أَعَظُمَهُ

لاطيب يعدل تربا ضمَّ أعظُمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم

وَحِيْنَ بَانَ ظُهُور مِن تظهّره
أنَارت الأَرْضُ من إخراج جَوْهره
يَا ليتَني كُنْتُ فِي أَيَامِ أَعصره

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

ضَلوا عَنِ الْحَقِ أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُم
وَفِي بِحَارِ الْهَوَى خَاضُوا وكُنههم
وَازْدَادَ سَقْمُهُم مَع ذَاكَ أَنهُم ([116])

يوم تفرس الفرس فيه أنهم
قد أُنْذروا بحلول البؤس والنقم

لَما رَآهُ بحيرا صَارَ مُتبع
لِدِينِهِ وهو في الأَخْبَارِ مُزّمع
وَصَارَ لَوْنُهُمْ الْكُل مُمْتقع

وبات أيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

---

[116] من الأنين

قَدْ بَانَ آيَات مَنْ فِي الْنَاسِ غَيْر خَفي
كَمْ ذَا أَقُولُ وَقَوْلِي فِيْهِ لَيْسَ كَف
فَإِنْ تردْ بَعْضه فَالْمَاءُ فِي نَشَف

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم

مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولُ اللهِ سَاوَتُهَا
غَارَتْ بُحَيْرَتُهَا بالنشف سَاقتهَا
فانظر إلى جربها قبل ونشفتها

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمي

يَاوَيحَ أمرهم صَارُوا لَفِي ضلَلِ
وَخَالَفُوا شَرْعَ مَنْ هو أَشرَف الْرُسُلِ
وَوَافَقُوا نفسَهُمْ فِي أَرْذَلِ العمل

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم

أَنْوَارهُ قَدْ زَهَتْ بِالْحَقِ لامِعَة
وَسَيفهُ لعدو الله قَاطِعَة
وَصَحْبه لِجَمِيْعِ الْخَيرِ جَامِعَة

والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم

وَلاَهُ رَبِي بِأَسَرَارٍ لَهُ وَهمْ
لَمَا تَوَلى عَلى الآفَاقِ حِيْنَ حَكَمْ
وَالْكُفْر عَنْ ذَاكَ فِي عمي كذا وَصممْ

عموا وصمُّوا فإعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم

دِين الْحَبِيْبِ رقى قد صَارَ آمنُهُم
لِكُلّ مَنْ سَلَكَ اَلْإِسْلَامَ صائنهم
مِنْ حَر نَارِ لَظَى حقاً يحصنهم

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأنَّ دينهم المعوجّ لم يقم

سَعَتْ بتلف لَه فِي غَايَةِ الْطَلبِ
حمالة الشوك أي حمالة الحطب
فَلَمْ تنل غَيْرَ عظم الْوَيْلِ والتعب

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب
منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنم

إنّ الشّياطين أَمسَتْ وَهي ترْتَجِمُ
وَيَقْفُ آثرهُمْ حَرْقَى وَمُنْهَزِمُ
قَالَتْ فَعَادَتُنَا لَا شَكّ تنخرم

حتى غدا عن طريق الوحي مُنْهَزِمٌ_
من الشياطين يقفو إثر مُنْهَزِمِ

تَفَرَّقُوا فِيْ جِهَاتِ الاَرْضِ مُكْرهة
لِأَنَّهُمْ قَدْ أَتَاهُمْ شَرّ دَاهِيَة
فَلَمْ يَرَوْا غَيرَنَا وَالشُهبُ مُشْبهة

كأنهم هرباً أبطال أبرهة
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي

قد فاض من رَاحتيه الماء معتصِماً
بِاللّٰهِ ثُمَّ رَمَى الْأَعْدَاءَ مُلْتَزِماً
أَصَابَهُمْ كلهم حين الرماء عَما

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
نبذا المسبح من أحشاء ملتقم

وَثَانِيَ اثْنَيْن إذ بالغَار قد نَزَلا
وَالْعَنْكَبُوْت بنَسْج قَدْ سَمَا حُلَلَا
ظَنّوا ووَلّوا وَخَابَ الظن والْأَملَا

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاه ربي من الأعداء خَائفةٍ
بِظَهرِ غَارِ لِسرِّ الربِ كَاشِفَةِ
فلم يزالوا بذل ثم راجعة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

مَا عاقَنِيْ الْدّهْرُ الله اسْتَغَثْتُ بِهِ
فِيْ الْنّائِبَاتِ بِكُلٍ اسْتَمدّ بِهِ
لِأَنّهُ الْحِصْنُ يَنْجُوْ مَنْ يَلُوْذُ بِهِ

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به
ألا ونلت جوارا منه لم يضم

الْفَضْلُ وَالْجُوْدُ وَالْإِحْسَانُ من يَدِهِ
اَلْأَنْبِيَاءُ جَمِيْعَاً سلك مَوْرِدِهِ
أَرْجُوْ إِلَهِيْ غِنَى الْدّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم

بِالنّصْرِ وَالْوحي بِالْتَأْيِيْدِ زَمّلَهُ
وَخَصّهُ بِاصْطِفَاءٍ ثُمّ كَملَهُ
وَبِانْشِقَاقِ لقلب صَاحَ بجَّلهُ

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
قلباً إذا نامت العينان لم ينم

مِنْ صِغرِهِ حِيْنَ مَا وَافَى بِبلغَتِهِ
عَجَائِبٌ صَدَرَتْ مُنْه لبِعْثَتِهِ
فَلَا تَرَى خَاضِعَاً إِلّا لِهَيْبَتِهِ

وذاك حين بلوغ من نُبُوَّته
فليس ينكر فيه حال محتلم

اللهُ جَمّلَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
له معال تعلى أشرف الرتب
وَخَصّهُ بِاسْمِهِ فِي أَفْضَلِ الْكُتُبِ

تبارك الله ما أوحى بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتهم

قَدْ عَمّ فِي الْأَرْضِ وَالْآفَاقِ رَحْمَتُهُ
كَانَتْ تَجُوْدُ بِذِي الْأَنْعَام رَاحَتُهُ
كَمْ أَلْمسَت كَفه صَارَت بَرَاءتهُ

كم أبرأت وصبا باللمس راحته
وأطلقت أربا من ربقة اللمم

جَاءَتْ فأَبَدَتْ لَنَا مَاكَانَ مرمزة
بَيْنَ الْعيون وفي الآثَارِ مُبْرزة
دَوَامُهَا عاليا فِيْ كُلّ مُعْجِزَة

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

جَلّت عن العَد وَالْأَوْصَافِ وَالشبه
وليس يعرفها حدّا بمنتبه
فرم لأعظمها واسمع لأطنبه

محكّمات فما يبقين من شبه
لذي شقاق ولا يبغين من حكم

فيا لها محكمات غاية الأرب
تلق الأعادي لها بالهزم و الهرب
فما لهم غير سوء الهمّ والكرب

ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

فيها التزمنا فروضا عن غوامضها
منها اكتسبنا جَمَالاً من عرائضها
فلا تَرَى باسطا إِلا كقابضها

ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم

جلّتْ عَجَائِبُهَا فِي الدّهر وَالأَمدِ
صيغت عن الكيدِ والأَنفاسِ وَالحسدِ
كذاك صينت عن الأَنفاث فِي العُقَدِ

لها معان كموج البحر في مدد
وفوق جوهرة في الحسن والقيم

غزيرة الحبّ لا تحصى سحائِبُهَا
كَم أَغدَقَتْ حللاً حقاً سواكبُهَا
وَكَم أفاضَتْ لَنَا نُوْرَاً غياهبها

فما تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الإكثار بالسأم

جَنّاتُ عَدنٍ لتاليها يَحِقّ لَهُ
إِذَا تأمل معْناها أعدّ لهُ
كَذَاكَ بِالحورِ وَالْوِلْدَانِ كملةُ

قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

إن رمت تشبيهها جلت عن الشبه
وَإِن أَرَدتَ فَقِف بالبَاب منتبه
وانظر إلى قَاصِرات الطرفِ مشتَبِه

كأنها الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤوه كالحمم

فمن تلاها بخوف صار متعظا
وأطفأت حر نار جسمها غلظا
تبّا لِنَار لهَاَ قد صَارَ .... ([117])

إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشيم

الله آتاه آيات مفصلة
تنبئ عن الحق والأحكام مجملة
فلا يشابهها في الحق منزلة

[117] لفظة غير مقروءة

وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

اترك مقاولة الجهال والعند
واذْكر كلَام الإلَه الوَاحِدِ الصّمَدِ
ولا تقل نَحْوَ مَا قَالُوه مِن حَسَدِ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

يا خير من يرتجى حشرا شفاعته
يا من يرجى لهول العطش راحته
أرجو سماحا بمن ترجى سماحته

يا خير من يمم العافون ساحته
سعياً وفوق متون الأينق الرسم

يا من هو النعمة العظمى لمفتقر
يا من هو الغاية القصوى لمختبر
يا من هو النور في العينين مبتصر

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

يا من سَرَى ذِرْوَةَ الإِعْزَازِ وَ الْكَرَمِ
في ظُلْمَةِ اللّيْلِ إذ وافى إلى الحرم
خُصّصْتَ حَقّاً بإسراء لذي عظم

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم

نوديت بالرفع يا مختار ادن ولذ
اسمع خِطَابي وأنذر ثم ذاكَ فخذ
يا حَبَذا من شُهود ذاكَ حين جبذ

خفضت كل مقام بالإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

وَصَلتَ في سر سر العين مفتكر
مَا قد رَأيْت من الآيَات معتبر
فجزت كُلّ حجاب كان مستتر

كي ما تفوز بوصل أي مستتر
عن العيون وسر أي مكتتم

لك الكرامة والبشرى من الملك
وجزت في فلك من أعظم الفلك
وفزت بالقرب والعليا من الملك

وحزت كل فخارٍ غير مشـــتركٍ
وجزت كل مقامٍ غير مزدحـــم

نلت العلوم وكل الفضل يا عربي
وصَارَ لهوتك المنبي عن القرب
وفاه ناسوتك الأعلى من الرتب

وجل مقدار ما وليت من رتـــبٍ
وعز إدراك ما أوليت من نعــمِ

فَالحَمْدُ لله بالإسلام فضلنا
ركنا عظيما من الإسلام عن لنا
وَ بالهداية والتوفيق جللنا

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنـــا
من العناية ركناً غير منهـــدم

فَنَرْتَجِي الْعَفْو من مَأْمُول سَاحَتِهِ
ونرتَجي حشرنا في ظلّ سَاحَتِهِ
مأمولنا ليس إلّا في شَفَاعَتِهِ

لما دعا الله داعينا لطاعتـــه
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمـــم

فَيَا لَهُ من مصفى من سلالته
فَإِنّهُ خير خلق اللهِ صفوته
عسى وَأَحْظَى بِقُرْبٍ مِنْ سريرته

راعت قلوب العدا أنباء بعثتـــه
كنبأة أجفلت غفلا من الغنـــمِ

زَادَت ضغائن أَهْل الكفر والشرك
مخزين من أَعْظَمِ الْأَهْوَالِ والدرك
مرمين في أَسْفَلِ الْنِيْرَانِ وَالْهَلَك

ما زال يلقاهم في كل معتـــرك
حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

فصار صائرهم صرعى بمحجبه
ولم يكن في قواه غَيْرَ مهربه
ولم ينل هربا من شد مطلبه

ودوا الفرار فكادوا يغبطون بـــه
أشلاءَ شالت مع العقبان والرخم

تمضي عَلَيْهِمْ لَيَالِي الحزن ويلتها
لَا يَعْرِفُونَ لَهَا قربا وبعدتها
أيضا عليهم وَلَا يدرون مدتها

تمضي الليالي ولا يدرون عدتهـا
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحُرُم

فأسلب الحق ما قد كان راحتهم
وَلَمْ يبالوا إذا جاءت فضاحتهم
في الانقياد له كانت رباحتهم

كأنما الدين ضيفٌ حل ســاحتهم
بكل قرمٍ إلى لحم العدا قـــرم

رمَاهم الله كيدا ذوق لائحة
بجريها فوقهم رميا بسابحة
لأنهم ككلاب الجو نابحة

يجر بحر خميسٍ فوق سـابحةٍ
يرمى بموجٍ من الأبطال ملتطـم

كم جَاهَدُوا في طَرِيْقِ الحق من عصب
وكم تماروا لها بالجهد والطلب
وما يبالون بالدنيا لذي أرب

من كل منتدب لله محتسـبٍ
يسطو بمستأصلٍ للكفر مصطلمِ

قد شيدوا الدين بالتقوى بذاك نظم
وهددوا أركن الْكُفّار ذَاكَ عُلِم
شريعة المصطفى حقا بذاك فهم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهـم
من بعد غربتها موصولة الرحـم

فاسْتَظَهرُوا الدين حتى صَارَ في الكتب
هم الأشداء في الإعزاز والرتب
كم جندلوا لأعادي الله في الترب

مكفولة أبداً منهم بخـير أبٍ
وخير بعلٍ فلم تيتم ولم تئـمِ

اللهُ بالنصر والتأييد جامعهم
سلو سيوفا فأغشى الكل صيارمهم
ولم يزالوا بسيف النصر هو معهم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم في كل مصطدم

سل أهل مكة فتحا يوم ارتقدا
جَمِيْعُ مَنْ كَانَ فِيْهِ الْمُصْطَفَى وَعَدَا
وسل بني المصطلق كم جندلوا عددا

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أُحداً
فصول حتفٍ لهم أدهى من الوخم

سَلّوا سيوف ليوم الحرب وارتعدت
منهم أَعَادِي الذي في الْكُفْرِ قد عندت
وعينهم في سَبِيْلِ اللهِ قد سهدت

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت
من العدا كل مسودٍ من اللممِ

فإنّهُمْ ظاهرين الحق إذ سلكت
أَعْلَامُهُمْ بقويم الدين وانتسكت
سيوفهم لذوي الأعداء قد سنكت

والكاتبين بسمر الخط ما تركت
أقلامهم حرف جيم غير منعجمِ

بدين حق وإجلال يعززهم
كَذَاكَ في منصب العليا يغرزهم
في يوم لَا تنفع الأهلون مبرزهم

شاكي السلاح لهم سيما تميزهــم
والورد يمتاز بالسيما عن السلم

أكرم بهم من صحاب فات ذكرهم
فليس للحد في الأوزان حصرهم
لأنهم هم نجوم زان فخرهم

تهدي إليك رياح النصر نشرهــم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كـم

هم الأسود وكم أبدوا له عجبا
هم الضراغيم كم استظهروا أربا
هم الْأَشِدّاءُ كَمْ قد جَنْدَلُوا عصبا

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربــا
من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وكلهم قد رقى حق الطريق رقى
وشتتوا شُمَلَ الأعداء أي فرقا
وليس يرجون إلّا للكريم لقا

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقــاً
فما تفرق بين الْبَهْمِ وألْبُهــُمِ

هُمْ خير خلق وخير الْخُلقِ خِيرْتُهُ
هم خير صحب وخير الصحب صحبته
فإنهم طال ما أبدوا سريرته

ولن ترى من وليٍ غير منتصـــرٍ
به ولا من عدوّ غير منفصـــم

هُوَ الرّسُوْلُ فيا فَوْزا بِبِعْثَتِهِ
هُوَ الْشّفِيْعُ لَنَا في يَوْمِ رأفته
هُوَ الْنَبِيّ لَنَا ينبي بِفِطْرَتِهِ

أحل أمته في حرز ملتـــــه
كالليث حل مع الأشبال في أجـم

هُوَ الرّسُوْلُ لَنَا مِنْ أَفْضَلِ الرّسُلِ
وَدِيْنُهُ أَشْرَفُ الأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ
أوتي كِتَاباً بلا شبه ولا مَثَلِ

كم جدلت كلمات الله من جـــدلٍ
فيه وكم خصم البرهان من خصم

فَكَمْ لَهُ مِنْ كَرَامَاتٍ مُعَزّزَة
مِنْ مُعْجِزَاتٍ لَهُ يَاصَاحِ مبرزة
وَكَمْ لَهُ مِنْ مَقَالَاتٍ وموجزة

كفاك بالعلم في الأُمِّيّ معجـــزةً
في الجاهلية والتأديب في اليتـم

لقد تمسكت في حَبْلٍ بِجَاذِبِهِ
لَعَلّ رَبّ العُلَا يعطي لِطَالِبِهِ
إنْ لَمْ أَكُنْ صِرْتُ أهْلاً للحوق بِهِ

خدمته بمديحٍ استقيل بـــه
ذنوب عمرٍ مضى في الشعر والخدم

آهٍ عَلَى مَا أصابتني نوائبه
ابيض شعري ولم تفنى عجائبه
وبان عمري ولم يعرف معائبه

إذ قلداني ما تخشي عواقبـــه
كأنَّني بهما هديٌ من النعـــم

آهٍ لِنَفْسٍ وَشَيْطَانٍ قد التئما
عَلَى خَرَابِ لِقَلْبِي اليوم قد وَسَمَا
وفي إطاعتي الاثنين قد علما

أطعت غي الصبا في الحالتين ومـا
حصلت إلا على الآثام والنـــدم

نَفْسِيْ الْخَبِيْثَةُ صرت في جَهَالَتِهَا
عَلَى الْمَعَاصِي وَلَمْ تَرْقُبْ لجِنَّتِهَا
تمارت الإثم لم تدر لدربتها

فيا خسارة نفسٍ في تجارتهـــا
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تســم

إذْ قلداني في حب وَفِي وَلَه
وَعَنْ طَرِيْقِ الْهُدَى كَانَتْ لِغَافِلِه
وباعت الخلد بالفاني كجاهله

ومن يبع آجلاً منه بعاجلـــهِ
يَبِنْ له الْغَبْنُ في بيعٍ وفي سـلمِ

فَإِنْ أَتَيْتَ بِذَنْبِ من هوى الْغَرَضِ
أَوْ نقص فَرْضٍ كَبِيْرٍ من ذَوِيْ الفرض
فقد أتيت بذنبي اليوم مفترض

إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقـض
من النبي ولا حبلي بمنصــرم

فإنه ليس لي حسن لتصفيتي
ولا شهود ترى في حق تزكيتي
سميت أولادي باسم المصطفى ثقتي

فإن لي ذمةً منه بتســـميتي
محمداً وهو أوفى الخلق بالذمـم

يَا أَكْرَمَ الرسل يا حسبي ومعتمدي
قَدْ جِئْتُ بِالْذُلِ من خَوْفٍ ومن جلدي
فَلَا تخيب بحسن الظن يَا سندي

إن لم تكن في معادي آخذاً بيــدى
فضلاً وإلا فقل يا زلة القـــدمِ

إنّ الْوُقُوْفَ بِبَابِ الْعِزّ معظمه
عفو الذنوب كذا الْمُرْجَا مراحمه
عَبْدٌ ذَلِيْلٌ أَتَى سهّل مزاحمه

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترمِ

فهو الْشّفَاءُ لِمَنْ دَاوَا جَرَائِحُهُ
وهو الشّفِيْعُ لِمَنْ أَبْدَا مَدَائِحهُ
لِأَنّ رَبّ الْعُلى لَا زَالَ مانحه

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه
وجدته لخلاصي خير ملتزم

نَفْسِيْ بِقُرْبِ مَدِيْحِ الْمُصْطَفَى قَرُبَتْ
لَكِنّهَا لَمْ تَنَلْ فَصَاحَةً بَلَغَتْ
في حُبّ أحمد أضحت بالحيا ورَبَتْ

ولن يفوت الغنى منه يداً تربت
إن الحياء ينبت الأزهار في الأكم

أَمْدَاحُ جدي رسول اللهِ قد بَلَغَتْ
شرقا وَغَرْباً بِأَنْوَاعٍ قد اتفقت
قصدي شَفَاعَتُهُ يَوْمَ اللّقَا عرفت

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت
يدا زهيرٍ بما أثنى على هرمِ

لَقَدْ أَتَاكَ عُبَيْد في تَطَلّبِهِ
عَبْدُ الحليم يرجي في نَوَائِبِهِ
تَكُوْنُ عوناً له في ضيق مذهبه

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ بـه
سواك عند حلول الحادث العمـم

قد ضَاقَ ذرعي بي من شِدّةِ الكرب
وَشِدّةِ الْهَوْلِ يَا مُخْتَارُ يَا عَرَبِي
أَتَيْتُ مَنْظُوْمَةَ الْتّخْمِيْسِ في إربي

ولن يضيق رسول الله جاهك بـي
إذا الكريم تحلّى باسم منتقـم

أَرْجُوْكَ حسبي لِنَفْسِيْ يَا ذخيرتها
لتدفع السوء عَنْهَا ثُمّ حدتها
دُنْيَا وَأُخْرَى لِكَيْ تزوي مضرتها

فإن من جودك الدنيا وضرتهـا
ومن علومك علم اللوح والقلـم

إنْ شَاءَ رَبِّيْ بِحُسْنِ الظَّنِّ قَدْ عَلِمَتْ
إنَّ الشَّفَاعَةَ للمداح قَدْ لَزِمَتْ
كَذَاكَ لِلْأُمَّةِ الْغَرَّاءِ قَدْ نمت ([118])

يا نفس لا تقنطي من زلةٍ عظمـت
إن الكبائر في الغفران كاللمـم

فَأَنَّ نِعْمَةَ رَبِّيْ حِيْنَ ينعمها
بِالْفَوزِ وَالْخُلْدِ والجنات يُكْرِمُهَا

---

[118] وقد وردت عبارة في الهامش مفادها: "ونرجو منك أن لا تنسانا هنا من الدعاء أي الكاتبين هذا صالح وكمال وطاهر" وهؤلاء أبناء صاحب التخميس إلا الشيخ كمال الدين فهو ابن أخيه الشيخ محمد علاء الدين. رحمهم الله جميعا ونور قبورهم وغفر لهم.

كَذَاكَ بِالْنَظْرَةِ السرَّاءِ يختمها

لعل رحمة ربي حين يقســـمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

اللهَ أَرْجُوْهُ عَفْوَاً لي وفي رمسي
إِذَا أَتَيْتُ بِذِيْ الأَوْزَارِ مُنْغَمِسِ
كَذَاكَ إِذْ صِرْتُ فِيْ الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسِ

يارب واجعل رجائي غير منعكسٍ
لديك واجعل حسابي غير منخـرم

يَارَبّ عَبْدُكَ في الدّارَيْنِ لَيْسَ لَهُ
قِوَى عَلَى أَلَمِ الْأَوْزَارِ أثقله
لَكِنّ أفضال لطف الرَّبِ أشْغَلَهُ

والطف بعبدك في الدارين إن لـه
صبراً متى تدعه الأهوال ينهـزم

صل إلهي على المختار دائمة
ليلاً نهاراً كذا سراً ملازمة
وَهَبْ لَنَا يَا إله حُسْنَ خَاتِمَة

وائذن لسحب صلاةٍ منك دائمــة
على النبي بمنهلٍ ومنســـجم

تعم صحبا وجمع الْآلِ تابعهم
كَذَاكَ مَنْ اقتفوا إثرا مسالكهم

أهل التُّقَى وَ النقى حَقّاً فَضَائِلُهُمْ

والآلِ وَالصَّحْبِ ثمَّ التَّابعينَ لهــم
أهل التقى والنقا والحلم والكــرمِ

مَادَامَ نَغْمَاتُ حَادِيْ العِيْسِ مُضطِرِباً
أَوْبُلْبُلٌ فَوْقَ غُصْنٍ صاح مُكْتَئِبَاً
كَذَاكَ مَا دَامَ سحب هاطل عذبا

ما رنَّحت عذبات البان ريح صــبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

يارَبِ عِنَدَ جَمِيل لِلجَميع يفي
فإن فَضَلكَ معلوم وغير خفي
جَمَالُ رُؤياكَ في الجَنَاتِ ذَاكَ تفَي

ووالديَّ وما عقَّبت من خلفي
و المسلمين من العرباء والعجم

فَاغْفِرْ إِلَهِيْ لِمَنْ أنشا و خمّسها
كَذَاكَ من سبعنها ثُم عَشرها
وارحم لمن قد ترجمها وَأشرحها

واغفر لمنشدها وارحم مؤلفها
بجاه من مدحه في النون والقلم

تمت

ج– مخمسية الشيخ طاهر الحامدي للبردة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الواحد الحق، مبدع العالم خالق الخلق. الذي أبرز إبريز الصفا من جوانح الجانحين إليه سلفا وخلفا، وأنار بواطنهم برشحات أنوار المعرفة فضلا وشرفا. وأروى سرائرهم بسفح موارد سلاف الوداد، فتواجدوا من ألفاظ كالدرر، منظومة بسلك كعقود الجوهر. فأفصحوا بها عن المراد. حمدا يوافي نعمه، ويكافئ المزيد. ثناء منزها عن شوائب النقص. حريا بجلاله، وشكرا له على ما أولانا من سوابغ آلائه، وأفضاله. والصلاة والسلام على المصطفى المختار سيدنا محمد الذي آلهت لباب العارفين من الخوض في لجج نعوت جماله. وأبكمت ألسنة المداح عن استقصاء الأوصاف. ولو بإمعان النظر وغاية الاعتساف. فما وصفوه حق الإنصاف، بما له من الكمالات ورفعة الدرجات، كما قيل:

أرى كل مدح في النبي مقصر وإن بالغ المثني عليه وأكثرا[119]

إذ قال المولى الكريم في كتابه المنزل الحكيم {وإنك لعلى خلق عظيم} دائمين متلازمين دوام الملوين. وعلى آله الأعلام، وأصحابه مجاريح الظلام. وبعد: فيقول العبد الفقير، المحتاج إلى رحمة ربه الغني السيد محمد طاهر الحسيني: لما كانت القصيدة البرئية في مدح خير البرية بأسلوب غريب، ونمط عجيب حيث إنها حاوية نكات ودقائق مشتملة على فصول وحقائق. والحاصل هي أحسن مقال. قد قيل. ولم تزل المادحون في بيداء نظم تخميسها يجولون جيلا بعد جيل، لاح لي وخطر بالبال، أن أقتفي أثر أهل الكمال. فإني وإن لم أكن أهلا لذلك، ولا من فرسان من يجول في ميدان المسالك، بل ليس لي التوقف والنظر في المقال، فضلا عن كوني أكون من زمرة من قال. ألا إني قلت كما قالوا: "إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم." وإن التشبه بالكرام حملني على الإقدام دون الإحجام. والتشبث بأذيال أهل الكمال محمود ومعدود من مكارم الخصال. حيث قالوا :

فتشبثوا إن لم تكونوا منهم إن التشبث بالكرام فلاح

ومن كون هذه التخميسة المنيفة صادرة بتوفيق من الله تعالى من مبتدأ في الإنشاء والإنشاد من غير تمرين. بل هو غير حريٍّ ومستحق للإسناد. فالمأمول ممن عبَّر الطرف، وصرف الذهن في مطالعته، إذا عثر فيها على إعثار ووهم، أن

---

[119] وجدت أصل الأبيات عند صاحب المواهب اللدنية حيث يقول "ويحكى أنه رؤى الشيخ عمر بن الفارض السعدى فى النوم فقيل له: لم لا مدحت النبى- صلى الله عليه وسلم- فقال:
أرى كل مدح فى النبى مقصرا ... وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى
قال الشيخ بدر الدين الزركشى: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين- كأبى تمام والبحترى وابن الرومى- مدحه- صلى الله عليه وسلم-، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعانى دون مرتبته، والأوصاف دون وصفه، وكل غلو فى حقه تقصير، فيضيق على البليغ بحال النظم، وعند التحقيق إذا اعتبرت جميع الأمداح التى فيها غلو بالنسبة إلى من قرضت له وجدتها صادقة فى حق النبى- صلى الله عليه وسلم-، حتى كأن الشعراء على صفاته كانوا يعتمدون وإلى أمداحه كانوا يقصدون، وقد أشار البوصيرى بقوله: «دع ما ادعته النصارى فى نبيهم» إلى ما أطرت النصارى به عيسى ابن مريم من اتخاذه إلها" المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد القسطلاني (923هـ) المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر

يسدل جفن الدلس عما زل به القدم، ويجري عليها الإصلاح بالقلم. لأن الوجود خير من العدم، ولا يخلو الإنسان من السهو والنسيان، وأن ينظر بنظر القبول لا بالجور والفضول.

فعين الرضى عن كل عيب كليلة　　　كما أن عين السخط تبدي المساويا

هذا وكما قال العلامة الشيخ زين الدين خالد الأزهري: باب الانتقاد علينا مفتوح. ورايات الاعتراض علينا تلوح. انتهى والعبد لا تنفك عنه خطراته عن الأذهان. فإن وجد فيها إخلال فعلى مقدار تنشيط الزمان.

شعر:

إن تجد عيبا فسد الخللا　　　جل من لا عيب فيه وعلا

فسبحان من تفرد كلامه بالكمال والتأييد، وتنزه عن شوائب النقص والتعقيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وسميتها بالمواهب السنية والدرر السمتية في تخميس القصيدة البرئية . والله المسئول أن يتلقى يالقبول. ويكف عنها ألسنة الحاسدين، وأقلام المفترين. إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. وأن يعصمني بمحض فضله العميم. في الحركات والسكنات، عما يوجب الندامة والحسرات، وعليه أتوكل وعليه فليتوكل المتوكلون. وقد آن الشروع في المقصود بعون الملك المعبود. وبه نستعين في كل الأمور. بقدرة الملك الصبور.

بمنه تعالى هذا كتاب المواهب السنية، والدرر السمتية، تخميس قصيدة البرئية، في مدح خير البرية، عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية. للعبد الفقير، المحتاج إلى مولاه، حامدا له تعالى على ما أولاه. ذي الذكر الفاتر، والنظر القاصر، السيد محمد طاهر عامله مولاه بلطفه الباطن والظاهر. وأسبل سيل سماحته على ميدان ساحته المآثر، ابن العالم الفاضل، والمرشد الجليل الكامل، ذي الأنفاس القدسية مولانا السيد الشيخ عبدالحليم الحامدي الخالدي النقشبندي، أدام الله تعالى أيام حياته وأفاض علينا من رشحات نفحاته.

وقد(وقع) الفراغ من تسويد هذه النسخة في شهر جماد أول مضى منه 28 يوم في نهار الجمعة سنة: 1305 من هجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . آمين .

الحمد لله منشي الخلق من عدم
ثم الصلاة على المختار من قدم

يا هامعاً شأنه بالخد كالديم
نشران من انتشاق العرف من إضم
هل حلّ بالبال طيف القدِّ إذ تَهِم

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أم شُجْتَ مِن كابةٍ شجواءَ لا عجةٍ
بغاديٍ غادر الظميا برابيةٍ
شادٍ بوصف لحاظِ مَن بضاحيةٍ

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

لو كنت تسلو لما طرفيك قد همتا
أو لم يكن بالحشا وجداً لقد عتتا
أيختفي حال مَن فيه الهوى ثبتا

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

لي الولاء عن العذال منحتم
والدمع خاتَلَه اذْبان منسجم
والقلب من وهج الأشواق مضطرم

أيحسب الصَّبَّ أنَّ الحُبَّ منكتم
ما بين منسجم منه ومضطّرم

قد بل بلبالهم بالبال كالوبل
جوانح الصب من تبريحهم تمل
والدمع يذرف بالوجنات من مقل

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم

ميه الظميّاء قلب الصب قد شغفت
ملتاح راحِها دمع العين قد شهدت
فكيف ينكر ضوء الشمس إذ طلعت

فكيف تنكر حبّا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدّمع والسّقم

زاح النُّها حيثما شف الكئيب عنا
والجسم يعنو إذا فيه الهوى كمنا
وأورث الوجد شوقاً ظاهراً علنا

وأثبت الوجد خطّي عبرة وضنى
مثل البهار على خدّيك والعنم

أشجى شذاها من الزوراء أصدعني
وزاح طيب الكرى مذ لاح من شجني
فقلت لما بدا شوقي فهيمني

نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني
والحبّ يعترض اللّذّات بالألم

يا عاذلا إيهِ لا تبدين تذكرة
إن الصبابة قد وافتني منذرة
عن كشف أسرار من تهوى محذّرة

يا لائمي في الهوى العذريّ معذرة
منّي إليك ولو أنصفت لم تلم

غز التعنف واهجرني على ضرري
فلو سقيت مدامي صدت عن نهري
وما عذلت وكنت المقتفى أثري

عدتك حالي لا سرّي بمستتر
عن الوشاة، ولا دائي بمنحسم

الحب للشيء يصمي المرء مسمعه
ويعمي الطرف عما كان يطمعه
أطلت في نصحي لكن لست أسمعه

محضتني النّصح لكن لست أسمعه
إنَّ المحبَّ عن العذَّال في صمم

قد اتهمت بعيد التهم في عذلي
فكيف تهمت من شئنه جدالي
فذر ملامة حب بالغرام بلى

إنّي اتّهمت نصيح الشّيب في عذل
والشّيب أبعد في نصح عن التّهم

أمّارتي كم لنصح الواعظين أبت
وعن سبيل الهدى والرشد عرجت
حان المشيب وفي عي الغوى حتفت

فإنّ أمّارتي بالسّوء ما اتّعظت
من جهلها بنذير الشّيب والهرم

وفي المخاطر والقنع السميج ترى
لها ولوجاً ولما تكتسب عبرى
ولا لها أثر الإحسان فيما أرى

ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألمّ برأسي غير محتشم

لو كنت أعلم مذ لا حت شوائبه
لوذته حين مابي لاذا وله
فقلت لما مضى كيلا أحقره

لو كنت أعلم أنّي ما أوقِّره
كتمت سرّا بدا لي منه بالكتم

تسبي الذي يقتفي في غيي سيرتها
فاحذر وجانب لان تداني ساحتها
إن رمت إن تتوقى من غوايتها

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها
إنّ الطّعام يقوّي شهوة النهّم

ماحت فباح لها التثريب والحيلا
عن نهج منهاج حق قد عتت جدلا
فاقمع هواها ولا تسمح بها عجلا

والنّفس كالطّفل إن تهمله شبّ على
حبّ الرّضاع، وإن تفطمه ينفطم

مكر النفوس عظيم إن توليه
صفاء راحك في الأقداح يبدله
احذر لما رام واصرم ما يؤمله

فاصرف هواها وحاذر أن تولّيه
إنّ الهوى ما تولّى يصم أو يصم

في لهو ما تهوى إن لانفس هائمة
وعن سلوك سبيل الخير نائمة
فعادها إن تكن في الغي نائمة

وراعها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

إذا بخطب عجت في الغي صارعة
لا غرو إذ أنها بالسوء خاتلة
فكم لها في بوادي الود ذاهلة

كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم

متبرَّ من ملأ بطناً على شبع
كذاك مقترها جوعاً على طمع
قد فاز ساديهما تبعاً لمهتلع

واخش الدّسائس من جوع ومن شبع
فربّ مخمصة شرّ من التّخم

يا طال من رين ما حاشت لقد ذويت
لمحفل العرض ريش الزهد ما جمعت
ما بال عينيك في فسح الدموع أبت

واستفرغ الدمع من عين أمتك
من المحارم والزم حمية الندم

احذر قلاك ولا تسمع مقالهما
رأس العبادة في إنقاض عهدهما
أرض الإله ولا تنقد لحكمهما

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محَّضاك النصح فاتهم

صد عنوة عنهما واهجر لما زعما
لا تأتمر منهما نهياً ولا حكما
ولذ بمولى حكيماً حاكماً حكما

ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أتوب لله من زوري ومن زللي
وما زوى مَتْني ثِقْلُ الوزر كالجبل
فقلت قولاً بلا ريب ولا خلل

أستغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذي عقم

قبل التذكر هلا ادّكرت به
وما ادخرت ليوم قدا آدابه
في موبقات يقاد بي فانتبه

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استقمت، فما قولي لك استقم؟

آليت جهداً وما قدمت عاملة
ولا ادخرت من الخيرات نائلة
تكون فائدة في العرض آجلة

ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم أصلِّ سوى فرض ولم أصم

ماديت في الغي ما راعيت لي عملاً
آنست إني بهنجاءٍ أدوم بلا
مستنجد حسرتي إذ ما ضجيجي علا[120]

[120] وهناك تخميس آخر في الهامش

ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

مقصر كل مدح في النبي أرى
مولاه آواه لما أن إليه سرى
أثنى عليه وكل الفضل فيه زوى

وشد من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم

قد غادر زخرف الدنيا بلا ريب
وصدّ إذ جاءت البطحاء من ذهب
أولاه مولاه ربعاً عالي الرتب

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

مفلج مبلج في الجنح غرته
معاضد تهمد العادين سطرته
كم أينعت باليا بالتمر راحته

وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لا تعدو عن العصم

نواله الطالبين لات كان بمن
كم عادياً تائباً ناب إليه أمن

ولا لحسن نجاتي أتخذ سُبلا
وما ادخرت من الخيرات لي سَبلا
إلا شفاعة خير الخلق والرسلا

لولاه ما كان كون في الورى وزمن

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

صل على المصطفى ما الاسم لاح وحي
إذ حبه واجب حتم علينا أخي
فهو الكريم الذي أرجو رضاه علي

محمد سيد الكونين والثقليـ
ـن والفريقين من عرب ومن عجم

ملاذنا قد نروم العون والمدد
أرضاك مولاك مالم يرضه أحد
عياذنا أرونا إذ ما صدى الخلد

نبيُّنا الآمر الناهي فلا أحد
أبرَّ في قول لا منه ولا نعم

حبيبنا المصطفى شاعت رسالته
شرقاً وغرباً لقد ذاعت فصاحته
برّ جليل لقد نبغي سماحته

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

أبان نهجاً قويماً غير مشتبه
لنا البشارة إنا ممسكون به

تبّا لواشين ليّاً يؤفكون به

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

مولاه أولاه فضلاً غير متسق
نداء جوده في الكونين كالودق
أبر في القول قد افديته رمق

فاق النبيين في خَلْقِ وفي خُلُق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

من نور خالقه الأنوار مقتبس
لله مؤتمر بالله مؤتنس
بنهج شرعه شرع الرسل مندرس

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

إن الرسول لخير الرسل كلهم
من حكمه شكلة أوتوا على كرم
ومبدأ العلم غايات لعلمهم

وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

حنّ النضدّ له جلت كرامته
جناً وإنساً لقد لاحت رسالته

محمد أحمد أرجو شفاعته

فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

ما أبدع الله عبداً في تحسنه
ألواه ربه كي لا يفتتن به
رشيق يوسف جزء من محاسنه

منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

مدح الإله له في الصحف غير خفي
مداحه فيه ما يثنوه غير وفي
فانسب إلى فضله ماشئت من ترف

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

الضب كلمه والجذع حن له
والعيس أنقذه حين اشتكاء له
فاسمع ملخص الوصف نص له

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

الله أعظم طه قد زوى كرما
وخص بالقرب إذ في السماء سما

وزاده المجد والتبجيل والهمما

لو ناسبت قدره آياته عظما
أحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم

صدر النبوة خير الخلق كلهم
روح الأمين عليه غير منفصم
أزكى النبيين أتقى من تقيهم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

أبان حرصاً علينا نهج مشربه
كذا هذا لتُغَب عن لهج مأدبه
فهو الرحيم فنعم المستجار به

لم يمتحنا بما تعي العقول به
حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

أرواه خالقه الآيات حين سرى
وخصه رفعة لما له نظر
فكنهه ليس يدركه نها بشرا

أعيي الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفحم

حان السماء والسناء والمجد والرشد
ومنكريه غدو في السوء الكمد

رماهم الله بالحرمان من مدد

كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم

الفضل والمجد والآلاء شيمته
ذي الجود والند جلت سماحته
أرجو من الله أن أحظى زيارته

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلَّوا **عنه** بالحلم

أنداده ما ذرى الباري ولا يذر
درور نده بالأصفاد منهدر
لو باح غيهب ليلٍ أخجل القمر

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

جوانح الجانح عج الجواء بها
والذرع من أرج الحزم الفؤادي سها
قد أينع الرطب ذا وإذ أشار لها

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتَّصلت من نوره بهم

عرج طه السماء في ليلة وبها
قد خصه الله لا تفنى عجائبها

وزال عن ملة الإيمان غيهابها

فإنه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يا مبدعاً مدحه قد زادك الأنق
أكرم به فلساني فيه منطلق
حسب اقتداري وشوقي صفه القلق

أكرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم

وطيسه يخجل الأقمار في شرفٍ
شراب راحة يروي الصادي من حتفٍ
طوبى لمنتشق منه ومغترفٍ

كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم

كهف مغيث فريد في شمائله
مستنجد البائس اللاآج بحضرته
أنا الفقير أمين في دخالته

كأنه وهو فرد في جلالته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

إبلاج غرته كالبرق في ولف
كم قد روى الهيف والملتاح كالوطف

لا تحصي نعمته لو بالغت في هرف

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
من معدني منطق منه ومبتسم

ما أبهج المصطفى دعجاً وأشيمه
وجت عن الضبط لا تحصى مكارمه
عساني أحظى ضريحاً منه ألثمه

لاطيب يعدل تربا ضمَّ أعظُمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم

رايات مجده قد لاحت بمظهره
ونار زهره يا طوبى لناصره
ما نده أبدع المولى بنبره

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

قلب العدى عمت فالله رانهم
عليهم استحوذ الإبليس أنهم
طاحوا قلى فوهيج النار مشوهم

يوم تفرس الفرس فيه أنهم
قد أُنذروا بحلول البؤس والنقم

منكوسة باتت الأصنام تنصرع
تباً لهم شفهم ضنك كذا حزع

وأخبر الكاهنون الملك منتزع

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

سحقاً لهم عن سبيل الحق في سغفٍ
طاحوا وغطريفهم ازداد في أزفٍ
لما رأى قصف الشرَّاف مرتكف

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم

مستنجداً صادياً قد آب واردها
كأنما طبخت بالنار أرضتها
غاصت وبان وهيج في دُوَيْرتها

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظم

لما بدا ناسخ الأديان والملل
دواهي قد أصابتهم من الملل
والنار طالما في الأنداد والمثل

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم

صاتوا السواد وبالأبيات ناشدة
على الحجون كذا بالمدح قائلة

والنور بالتلع والأطواد لامعة

والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم

بحكمة الحاكم الحكم الحكيم حكم
عليهم بالغوى تباً لهم وندم
أقام بالمصطفى دين القويم قدم

عمُوا وصمُّوا فإعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم

حوباً لهم تعساً رجت سرائرهم
إذ أخبر القوم ما أبداه كاهنهم
رانت ذروعهم غشيت بصائرهم

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأنَّ دينهم المعوجِّ لم يقم

كم من خوارق آيات كذا عجبٍ
ثارت وهم في الغوى حنيفاً وفي نصبٍ
يا ويحهم باتوا في غول كذا تلبٍ

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب
منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنم

إن الشياطين بالشهب الشداد رموا
لما غدوا لاستراق السمع واقتحموا

فحبل ضلالهم بالهدى منصرم

حتى غدا عن طريق الوحي مُنْهَزِمٌ_
من الشياطين يقفو إثر مُنْهَزِمِ

قد تلهم صرة الهلع كآزفة
لا موئلاً في الهرب هارعة
حاقت بهم قبساً كالهمج سافعة

كأنهم هرباً أبطال أبرهة
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي

إن الحصا سبحت في كفه ورما
ها يوم بدر فأضحى الجيش منهزما
من نبذه مسهم لجب كذا عما

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
نبذا المسبح من أحشاء ملتقم

لما دعاها تنت آتته مخبتة
شوقاً له وضفت بالأمر راجعة
فيا لها من عظيم الآي راجعة

جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً
تمشي إليه على ساق بلا قدم

مادت وبين يديه خشعاً لذبت
إذ قال ربي فغادت في المكان وبت

كشح الكواشح من شنئانها ودفت

كأنما سطرت سطراً لما كتبت
فروعها من بديع الخط في اللقم

قريش عند البحيرى هم لنازلة
شأن النبي إلى الظل مباذخة
لما اتى المصطفى ظلته مائلة

مثل الغمامة أنَّى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير [121] حمي

أقسمت بالله إن الله فضله
على جميع الورى مجداً وبجله
بالنور والعز والإسعاد جمله

أقسمت بالقمر المنشق (أن)[122] له
من قلبه نسبة مبرورة القسم

نزيل غار رسول الله والحلم
شذا به والشذا قد فاح كالعتم
سجى الأعادي ونالوا القشب والفمم

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي

---

[121] في (ط) (بالهجير)
[122] سقطت في (ع)

لما دعا سح فسيح الغيث يوبلها
وأينعت بعداد المحل حاق بها
تمذجت أبلحت من بعد غيهبها

بعارض جاد أو خِلت البطاح بها
سيبٌ من اليم أو سيلٌ من العرم

تاهت قلوب العدى في غيها وزفت
واشمأزت كذا في عيها حتفت
آياته لم تزل في حصرها أربت

دعني ووصفي آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلاً على علم

به السُّداف وكل الحيف منصرم
والقشب والجنَف واللجب منحم
بمدحه زاحت الآلام والسقم

فالدار يزداد حسناً وهو منتظم
وليس ينقص قدرا غير منتظم

المصطفى ساد من في الكون والرسلا
فما تمادى رجاء المادحين ولا
من عشر معشار ما أولاه رب علا

فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

حال القراءة لفظاً فهي محدثة
وبالمعاني قديمات ومحكمة
عظيمة من إله العرش منزلة

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

بالعدل والبر والإحسان تأمرنا
من الخنا ومعاص الأوق تزجرنا
سلك الهدى والتقى بالنظم تولجنا

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم

أكرم بمعجزة للحق مبرزة
قد استمرت فماحت كل معجزة
عن الردى والنوى والحنق محرزة

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

حوت أعاجيب أحكام وأغربه
حاقت باتقان قدف غير مشتبه
عجت بقالب تالٍ سنبر نبه

محكَّمات فما يبقين من شبه
لذي شقاق ولا يبغين من حكم

ما أضرمت في أعادي القوم من لهب
إلاّ أطن طنين العذب من أرب
وأوقدت نارها منقادة السلب

ما حوربت عاد قط الأعادي من حرب
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

ما عورضت قطُّ إلا زاب من أزب
معارضوها وباتوا في غور نصب
كذاك في رهب غيظاً وفي شظب

ما حوربت عاد قط الأعادي من حرب
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

فصيحة ليس يدري سر غامضها
عزيزة طاح في التتبيب رافضها
طوبى لمنتشق من راح فائضها

ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم (123)

مولاه بالمجد والتعظيم جلله
ومهبط الوحي أعني الصدر شقَّ له
كذاك من اسمه والبدر شق له

[123] في المخطوط: عن الجرم ، والصحيح كما أثبتناه ، والله أعلم.

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
قلبا إذا نامت العينان لم ينم

الفضل والجود كلاً من ترافته
رؤياه تأتي كصبح في صباحته
بعد البلوغ أتى الوحي بيقظته

وذاك حين بلوغ من نُبُوَّته
فليس ينكر فيه حال محتلم

أناله الله كم ما فيه من عجب
وكم روى الصادي الحرَّان من وصب
عليه أهبط جبريل بلا ريب

تبارك الله ما وحي بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتهم

وجت عن الضبط لا تحصى كرامته
تحيي الرميم بإذن الله دعوته
بذلتي فاقتي أرجو سماحته

كم أبرأت وصباً باللمس راحته
وأطلقت أربا من ربقة اللمم

كم قد أزاح من المعتر ادته
إذا جاءه نهراً في الزرق بغيته
إذاً فسحَّت درور الوبل دعوته

وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

غازوهما وهما في الغار قد أويا
قذف العمى أعين العادين إذ خفيا
تولى حفظهما الباري بما التويا

فالصدق في الغار والصدِّيق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم

عناكب نسجت أربوعها حللاً
حوم الحمام رأوه قالوا ما دخلا
لكن هما ههنا لا شك قد وصلا

ظنوا الحمام وطنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

هما لقد نجيا من شر طائفة
كذاك قد عصما من غير راجفة
وقاهما الله بالأنظار من فئة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

مالي سوى المصطفى من أستجير به
يزيح ترجي لما أن ألوذ به
فهو الشفيع وأرجو لي الخلاص به

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم

سفح المواد رشح من عوائده
ولا اعتراني بشيء من مكايده
وعاقني السعد والأدبار قائده

ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم

مثاني نزلت من واحد أحد
على نبي كريم سيد سند
توقي تاليها في الفيحاء من ومد

لها معان كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم

فما تسام وتستقصى غرائبها
لا مجَّ سامعها جلَّت عجائبها
أعظم بها عمَّت الدنيا مقاييها

فما تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الإكثار بالسأم

الله تاليها في الأكوان فضله
وساده في الورى مجداً وبجله
رايات جاه لجنات أعدَّ له

قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

خذ منها ما شئت كن بالمعنى متعظا
لما ابتغيت وقم في خطبها نكظا
واقرأ بصوت شج إذ تُبْرئ الجنظا

إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشبم([124])

قد أينعت خلَّد التالي بلا شبه
زاحت ضناه وجاءته بمطلبه
بزَّت جواظه آتته بمأربه

كأنها الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم

الله أنزلها للبرِّ كافلة
على نبيه للأحكام حافلة
كالشمس لما بدت بالأفق مبلجة

وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

قد حل في الغي والأعياء حاسدها
وحسن بالمخذم المصقول جاحدها

---

124 في المخطوط (شيم) والصحيح ما أثبتناه .

واللأّظ أهمده لما يفوه بها

لا تعجبن لحسود جاء ينكرها
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

ما زال حاسدها في أسوء الربد
سحقاً له قد شقاه الواحد الأحد
تزهو كعسجد صرد في ربا سغد

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

يا أكرم الرسل من عمّت رسالته
يا سيد الخلق من نرجو شفاعته
في العرض قد نبتغي منه سماحته

يا خير من يمم العافون ساحته
سعياً وفوق متون الأينق الرسم

يا من هو العصمة العظمى لمنكسر
ومن ألوذ به في محفل خطر
يا منذر من لظى نار ومن سقر

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

عرجت والروح في عزٍّ وفي كرم
ونلت ما نلت من مجد ومن شيم

إعداد طه تمام البدر يا فهم

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم

قد خصك الله بالمعراج معجزة
كل الملائك قد حفتك مقبلة
أولاك مولاك تعظيماً وتكرمة

وبتَّ ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

لم تبق منزلة إلا صعدت بها
أفدت للناس جزءا من أعاجبها
خُصِّصْت من بين كل الأنبياء بها

وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

فلم تزل في رُقِيٍّ مذ صعدت بهم
كذلك الحجب جمعاً اخترقت بهم
والأنبياء جميعاً قدمتك بهم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صاحب العلم

فلم تدع في طباق العلو مرتفق
لا الأنبياء ولا الأملاك بمتسق

وجل رتبتك العلياء بالأفق

حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم

رفعت أعلى مقام العز ذاك حبذ
يا حبذا من منادى الرفع ذاك جبذ
من المعارف والأنوار تلوه إذ

خفضت كل مقام بالإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

أعطاك خلع الرضا يا خير مدثر
دنوت والنور قد ألواك منتشر
حتى سمعت صريف الرمس مستطر

كيما تفوز بوصل أي مستتر
عن العيون وسر أي مكتتم

ترحبوا بك لما في سما فلك
سموت ما فيها من رسل ومن ملك
فلا يضاهيك أنداد به فنك

فحزت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم

أسريت ليلاً إلى مولاك مع طرب
فيا لها أي جوار الرب في رحب
أوتيت جاهاً كذا مجداً بلا ريب

وجل مقدار ما وليت من رتب
وعز إدراك ما أوليت من نعم

الحمد لله بالمختار فضلنا
بملة المصطفى الرحمن خولنا
وبالهدى والتقى والعزِّ جللنا

بشرى لنا معشر الإسلام إنَّ لنا
من العناية ركنا غير منهدم

طوبى لنا حيث ما ندعى بأمته
لا سيما نحن من أصلاب عترته
أولاد فاطمة الزهراء بضعته

لما دعا الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

حل الكوافر رعباً صخب دعوته
قد أذعرتهم وهالتهم بسطوته
تعساً لهم حجبوا عن طيب عشرته

راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

نبل الهدى هدفت فيهم لفي زركٍ
باتوا وذرعهم قد ضاك في أوكٍ
كأنهم من وبيل الغيظ في وعك

ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

مذ لاح ماح الضلالات بمنصبه
حلت بهم داهيات البؤس والوله
أباح أحكام حق غير مشتبه

ودُّوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

سهم الهدى نفذت في الكفر هدَّتها
تاهوا حيارى فلا يدورن مدتها
ورادفتهم عقيب الرهب حدتها

تمضي الليالي ولا يدرون عدَّتها
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

الله بالمصطفى قد بزَّ راحتهم
لأنَّهم ضلوا أغوتهم جهالتهم
بئساً لهم خالف المنهاج عامَّتهم

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرمٍ إلى لحم العدا قرم

صحب النبي ليوث كل صائحة
يسطو بمستأصل في كل جائحة
عوارض الذُّلِّ في الكفَّار لائحة

يجر بحر خميس فوق سابحة
يرمي بموج من الأبطال ملتطم

كم غازوا بالمال والأشبال في وصبٍ
قاموا بنصرة مولاهم بلا ريب
والكفر منهم لفي رعب وفي رهب

من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

هم الأشداء بالكفار ذاك علم
من معظم الآي إذ قال الإله بهم
في سورة الفتح طاب الاهتداء بهم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم

أضحت بهم ملة الإسلام في طرب
بالمصطفى صانها المولى بلا ريب
من الندى والضنا والبؤس والنصب

مكفولة أبدا منهم بخير أب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

هم العلاج فسل عنهم مقادمهم
ما خز لب المخذم الباري مقاومهم
كم زاب يوم الوغى رعباً مصارمهم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأوا منهم في كل مصطدم

وسل نضيراً وغطفاناً وما شهدا
وسل سويقاً وما قد مسهم كمدا
وسل حديبية هل أبقوا بهم أحدا

وسل حُنيناً وسل بدراً وسل أحدا
فصول حتف لهم أهدى من الوخم

صوارم الحق في ذرع العدى نفذت
أحشائهم جعظت بالرعب قد زفدت
رجت سرائرهم بالذعر ارتعدت

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدى كل مسود من اللمم

الجامحين على الأعداء قد فتكت
تراهم كاليوث في الوغاء دبت
والثاغبين بالسياف دماً رشحت

والكاتبين بسمر الخط ما تركت
أقلامهم حرف جيم غير منعجم

في الدين جاهد للموت مبارزهم
مجندل للعدى بالسمر يخرجهم
عناية الله تحميهم وتحرزهم

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم
والورد يمتاز بالسيما من السلم

لا طيب يعدل إذ ما فاح عرفهم
يبدِّحون العدى إذ باح كهرهم
قد بان عن غير ما للحق وفرهم

تهدي إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

جند النبي ليوث في الوغى نجبا
برفزهم حفزهم تمضي العدى هربا
كم منهم الهوز تلقى تارزاً ردبا

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا
من شدَّة الحَزْم لا من شدَّة الحُزُم

لهم سيوف تضاهي البرق إذ برقا
يسطون بالكفر قد يبدونهم فرقا
من بأسائهم مسهم خوفاً كذا قلقا

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا
فما تفرق بين البَهْم والبُهُم

إن الحبيب الذي نرجوا شفاعته
يا ليتني عاجلاً أحظى زيارته
ومن تكون إلى المختار هجرته

ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في أجامها تجم

أبغي شفاعته العصماء من سقر
ما مطنب مدحه إلا بمختصر
إذ مدحه جاء في القرآن مستطر

ولن ترى من ولي غير منتصر
به ولا من عدو غير منقصم

طوبى لمن قد تعالى في محبته
أرجوا بمدحي حشري فيْءَ رايته
فهو المغيث لمن يشكو بلمَّته

أحلَّ أمته في حرز ملته
كالليث حل مع الأشبال في أجم

خير البرية والأملاك والرسل
مبري جريحة ملسوب من الصلل
قد خصه الله بالأفضال في الأزل

كم جدلت كلمات الله من جدل
فيه وكم خصم البرهان من خصم

آياته لم تزل للحق مبرزة
ومعجزاته عنها القوم عاجزة
فاسمع لآي أتت بالنظم موجزة

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب واليتم

مالي سوى المصطفى من قد ألوذ به
لما دهى متني الوزر الثقيل به
ولم أرى لخلاصي من يقوم به

خدمته بمديح أستقيل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

آه لقلبي لقد جلت مصائبه
قد مسه كمد لاحت معائبه
وساء لاه وقد ضاقت مذاهبه

إذ قلداني ما تخشى عواقبه
كأنني بهما هدى من النعم

يا لهفي إن لم يجد يوم الوغى كرما
علي ربي فمن أبغيه معتصما
أنا المقرُّ بما أسلفته وبما

أطعت غي الصبا في الحالتين وما
حصلت إلا على الآثام والندم

النفس لم تتقظ من سوء غفلتها
ولم تراقب ما يجري بلمتها
يا ويحها بئس غبن في خسارتها

فيا خسارة نفس في تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

الله يحفظ قلبي من غوائله
من بيعتي آجالاً منه بعاجله
هل يستوي عالم العلم وجاهله

ومن يبع آجلا منه بعاجله
يبن له الغبن في بيع وفي سلم

الله يغفر لي فضلاً بلا عوض
ويحرس القلب مما باء في غرض
كم لي وبين مبادي الوزر معترض

إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض
من النبي ولا حبلي بمنصرم

ومنه لي ذمة أيضا بتسميتي
باسم ابنه طاهرا هو موئلي ثقتي
إن سبق بي في لظى أرجوه تخليتي

فإن لي ذمة منه بتسميتي
محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

أضحى فؤادي بنغز الغيظ في الوبد
وهام باللاظ مما قد جنته يدي
يا سيدي يا رسول الله يا سندي

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

بمدحتي أرتجي نيلي مغانمه
فهو الذي عمت الدنيا مراحمه
إذ ليس يحرم من بالمدح ناظمه

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

حلت لنا عقد إشكال نصائحه
وأبلج الكون إذ لاحت ملائحه
ومذ مدحت وقد أبغي منائحه

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه
وجدته لخلاصي خير ملتزم

طوبى لنفس إلى نحو الحبيب سرت
وعفَّرت خدَّها بالعتب وابتهلت
بحضرة المصطفى المختار إذ لذبت

ولن يفوت الغنى منه يداً تربت
إن الحياء ينبت الأزهار في الأكم

يمّي شفاعته في الحشر إذ وزفت
إليَّ أيدي الزبانيات واختطفت
روحي فوا حسرتي صحفي إذا نشرت

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت
يدا زهير بما أثنى على هرم

يا موئلي منجدي يا مستغاثي به
مستنجدي ثقتي يا من أروم به
يا عدتي ذخري نعم الالتجاء به

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

اعطف علي إذا أرهفت في أزب
أروم سَيْب السلاف في مدى اللوب
حصني حصيني شفيعي عدَّتي طلبي

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تجلى باسم منتقم

تود نفسي بأن تحظى ببغيتها
من يمّ ندِّك أوليها مسرَّتها
وابري مناها وما فيه مضرَّتها

فإن من جودك الدنيا وضرَّتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

أتوب لله مما النفس قد فعلت
الله يرممها بالفج قدر رجعت
فقلت إذ طرقت باب الرجاء ندمت

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللمم

عسى الإله بمحض الفضل يحسمها
ومن صنيع سميج الفعل يعصمها
لا شك غفرانه الآثام يفصمها

لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

طرق باب الرجاء يا رب في غلسٍ
مستغرقاً في بحار الهم منهمس
العفو والفوز أرجو حين مندرس

يا رب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم

وارحم عُبَيْدك وامنح من لدنك له
باللطف والرفق في الدارين جدَّ له
يروم بالمصطفى في الخلد تدخله

والطف بعبدك في الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

واسمح بسفح صلاة منك هامعة
مقرونة بتحيات غوالية
في كل وقت بلا حصر ملازمة

وأذنْ لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم

تعم آلاً وأزواجاً كذا صحبا
الناصحين الكرام السادة النجبا
ما نغَّم الطير تغريد بكل ربا

ما رنحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ثم السلام على ساداتنا الأمرا
كذلك الأمة المختارة العشرة
والقدوة الأربع المبرورة البررة

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر
وعن علي وعن عثمان برهم

قوم كرام إله العرش جللهم
بالعز والمجد والإسعاد بجلهم
وزانهم شرفاً فضلاً وجملهم

والآل والصحب ثم التابعين لهم
أهل التقى والنقى والحلم والكرم

الحمد لله في ختم الختام وفي
بدء ونشكره شكراً بلا قصف
يا ربنا اغفر لنا وافسح بها أزفي

ووالدي وما عقبت من خلفي
والمسلمين من العربان والعجم

طاهر عُبَيْدك عام الألف خمسها
بعد الثلاثمائة الغفران يرجو بها
كذا الثلاثة في ذي الحجة ألّفها

واغفر لمنشدها وارحم مؤلفها
بجاه من مدحه في النون والقلم

عفو جميل بفضل منك يعضدنا
وامح الذي قد جنينا من صحائفنا
من المساوي وبالإحسان عاوضنا

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا
وامسح لنا ما مضى يا واسع الكرم

الخاتمة

بعد الكتابة بإجمال عن حياة البوصيري وقصيدته المشهورة بالبردة أوردنا معلومات عن تخميس القصائد. فأثبتنا أن التخميس نوع من المسمّط وأن ظهورها يمتد إلى بدايات العصر العباسي مع الإشارة إلى من كتب عن هذا النوع.

بعد وصف المخطوطات التي قمنا بتنقيحها ونشرها توسعنا في التعريف بأصحاب المخمسيات. وقد كانوا من علماء الدين ومشائخ الإرشاد بمدينة ماردين في أواخر عهد الدولة العثمانية. ويمكن اعتبار ما شاهدناه من قدراتهم العلمية وأذواقهم الأدبية وتمكنهم من العربية دليلا على الثقافة العالية التي كانت تتمتع بها ماردين قبل عهد ليس ببعيد. مع وجود بعض تأثيرات العجمة في المخطوطات رجحنا أنها صادرة عن النساخ. فلا يُتصوَّر وقوع شاعر فيما يقع فيه الأعاجم من الأخطاء وهو ذو ذوق أدبي رفيع يستطيع أن يخمس البردة. فأثبتنا أن المخمسيات توافق أسلوب التخميس. ولا تقل عن البردة في التعبير عن الحب الصادق نحو رسول الإسلام عليه وآله أفضل الصلاة والسلام.

وقمنا بكتابة تحليل مختصر عن البردة وعن المخمسيات. بينا فيه أن البردة من بحر البسيط وأن المخمسيات وافقتها في الوزن وأشرنا أيضا خلال التحليل إلى معاني بعض الأبيات بغية مساعدة القارئ في تنشئة فكرة عامة عن القصيدة ومخمسياتها قبل قراءتهما.

وظهر لنا أثناء التحليل مدى مشاركة أصحاب المخمسيات صاحب البردة في عواطفه الجياشة ومجاراتهم إياه في عباراته وتعبيراته. ووجدنا في المخمسيات إشارات تدل على اهتمامات أصحابها بالعلوم الشرعية. وأثبتنا لطائف أخرى مستخرجة من المخمسيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

– الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر. بيروت 2002 م

– اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية

ادوارد كرنيليوس فانديك. صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي. مطبعة التأليف (الهلال). مصر . 1313 هـ – 1896 م

– تاريخ آداب العرب

مصطفى صادق الرافعي. مكتبه الايمان، القاهرة 1997

– تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات – الجزيرة العربية العراق إيران

شوقي ضيف، دار المعارف. القاهرة 1980. الطبعة الثانية

-ترجمة قصيدة البردة للبوصيري إلى التركية نظما ونثرا من قبل سعيد باشا الدياربكري

بنيامين أي جيجكي. (Bünyamin Ayçiçeği, "Bûsîrî'nin Kasîdetü'l-Bürde'sinin Diyarbakırlı Mehmed Said Paşa (ö. 1308/1892) Tarafından Yapılan Mensur ve Manzum Tercümesi" *Divan Edebiyatı Araştırmaları Dergisi*, Sayı XV, s. 27-102, İstanbul 2015)

-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية مصر1967 م

– دائرة المعارف الحسينية

محمد صادق محمد كرباسي. لندن 2010.

– الشجرة الدرية في مناقب السادة الحامدية

عبد الحليم المارديني . تحقيق: محمد صادق الحامدي 1412 هـ

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب

عبد الحي بن أحمد العكري المعروف بابن العماد الحنبلي. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. دار بن كثير. دمشق 1406هـ.

- فوات الوفيات

محمد بن شاكر الكتبي. تحقيق : إحسان عباس. دار صادر - بيروت- 1973.

- فيض الملك الواحد في مناقب القطب السيد الشيخ حامد وسلالة الحامدية الأماجد

محمد علي الحامدي. مخطوط.

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المعروف بالحاج خليفة. مكتبة المثنى - بغداد 1941م

- لسان العرب

محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة - 1414 هـ

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

عبد المؤمن بن عبد الحق صفيّ الدين البغدادي . دار الجيل، بيروت 1992

- معجم البلدان

ياقوت الحموي. دار صادر، بيروت 1995

- معجم المؤلفين

عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

أحمد بن محمد القسطلاني المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

- الموسوعة الإسلامية الصادرة عن وقف الديانة التركي باللغة التركية "محمد البوصيري"

. محمود قايا.Kaya, Mahmut,“Bûsirî Muhammed b. Saîd”, *DİA*, İstanbul 1992, VI/68-470.

- الوافي بالوفيات

خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.دار إحياء التراث. بيروت 2000م

فهرس الموضوعات

el-MUHAMMESIYYAU'L-HAMIDIYYE ALE'L-KEVAKIBI'D-DURRIYYE FI MEDHI HAYRI'L- BERIYYE

Dr. Cemal Abdullah AYDIN

